وزارة الثقافة
الهيئة العامة السورية للكتاب

حريق اللون... حريق الروح
و
الإعادة الثالثة للعمر

نصان مسرحيان

محمد قارصلي

من المسرح ٢٠



حريق اللون... حريق الروح
و
الإعادة الثالثة للعمر



محمد قارصلي

حريق اللون ... حريق الروح
و
الإعـادة الثالثـة للعمـر

نصّان مسرحيان

منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب
وزارة الثقافـة – دمشـق ٢٠١٠



مـن المسـرح

« ٢٠ »

m

مأساة الإنسان «الفنان المبدع» في وطنه، هو الموضوع المركزي الذي يجمع بين هاتين المسرحيتين [حريق اللون ... حريق الروح] و[الإعادة الثالثة للعمر] للفنان والأديب الدكتور محمد قارصلي. إنها مأساة الفنان الصادق الواعي الذي تَمثَّل في عقله ونفسه تراث الغرب المتطور [أوربا] على صعيد الفن التشكيلي والسينمائي، إبداعاً وتنظيراً، وعاد إلى وطنه ليسهم في بناء ذائقة مواطنه بإبداعه وعلمه ومعرفته واندفاعه في نسيج هذا الوطن، فإذا به في مواجهة الإهمال والجهل وهدر الحقوق والإساءة المتعمدة والقهر المستشري في كل زاوية. وهذه المواجهة في تجلياتها المتباينة هي مادة الصراع بين المبدع الحقيقي وبين العراقيل والكوابح والسدود التي توضع في طريقه، على صعيد لقمة العيش والمسكن والحرية الشخصية وتشويه السمعة والإنكار والحصار، وغير ذلك مما يعانيه هذا الإنسان الحساس والواعي في حياته اليومية وفي أعماله الإبداعية. وفي خضم هذا الصراع القاسي، غير العادل، يسقط البطل التراجيدي.

لكن سقوطه في هاتين المسرحيتين، هنا، لا يتأتى من قدر غاشم أو غطرسة ذاتية أو خطأ في البنية النفسانية للبطل، كما في التراجيديا الإغريقية أو الشكسبيرية بل نتيجة لتعدد أشكال المواجهة وتكالبها عليه ، مما يؤدي به إلى الانكفاء إلى الذات، ومن ثم إلى عدم القدرة على مواصلة الإبداع ، أو الخضوع والرضوخ للشروط في لعبة السوق، فيسقط نفسياً وحياتياً .

في المسرحية الأولى أحرقت قوى الجهل والجهالة والتعسف ألوان الفنان التشكيلي، فاحترقت روحه، وتوقف عن الرسم. والمخرجة السينمائية في المسرحية الثانية حوربت لأنها إمرأة أولاً ومبدعة ثانياً، ولإصرارها على مواقفها. وعندما أُجهضت أحلامها كافة، خضعت لشروط السوق التلفزيونية المحلية والعربية. ومع ذلك فإن المخرجة السينمائية في المسرحية التي تعرض وتحلل حياتها المأساوية، تجيّر ثورتها الخجول في النهاية لصالح خاتمة تفاؤلية في فيلمها بدلاً من النهاية المأساوية الأصلية التي لن تلقى رواجاً في السوق.

وعلى الرغم من اتكاء الكاتب "د. قارصلي" نسبياً على شخصيتي فنانين حقيقيين من واقعنا، هما الفنان التشكيلي "لؤي كيالي" الذي درس في روما، والمخرجة السينمائية "شيرين ميرزو" التي درست في براغ، لكنه تمكن بحرفية عالية من منح

بطليه في المسرحيتين بعداً مجازياً عاماً، أبعدهما عن صبغة السيرة الذاتية، وجعل من المعاناة الفردية معاناة مجتمع ووطن. إضافة إلى السيناريوهات السينمائية والتلفزيونية، كتب "د. محمد قارصلي" حتى الآن أكثر من عشرة نصوص مسرحية للأطفال والفتيان والكبار. ومن المعروف أيضاً أنه مخرج سينمائي ومسرحي بارع، فقد فازت بعض أعماله الإخراجية المسرحية بجوائز دولية في مهرجانات معروفة في اليابان والهند، وكذلك بعض أفلامه التي نالت العديد من الجوائز الدولية. ونتيجة لهذا كله كان تفكيره في مادته المسرحية في الحالين إخراجياً بامتياز، ولكن ليس أبداً كما في نصوص ظاهرة المخرج/المؤلف التي هيمنت على مسارحنا منذ ردح من الزمن، هذه النصوص التي يصعب إخراجها على الخشبة من قبل مخرج آخر غير مؤلفها نفسه. بل إن نصوص "د.محمد قارصلي" تنتمي إلى الأدب المسرحي المغري فكرياً وفنياً. وسبق أن عرضت بعض نصوصه في العاصمة وخارجها بإخراجات مختلفة وبنجاح لافت.

إن أسلوب "د. محمد قارصلي" في هذين النصين سردي / ملحمي، شكلاً ومضموناً، ويعتمد بنية المشاهد المتتالية والمتداخلة والمركبة في انسيابية حياتية، تركز عند كل مفصل

مهم على إبراز ما هو عادي ومألوف بحيث يبدو غريباً وصادماً، ينبه عقل المتفرج إلى ضرورة اتخاذ موقف ناقد مما يجري أمامه على الخشبة وحوله في الواقع، سلباً أو إيجاباً. ومجموع تركيب هذه المشاهد كأحجار الفسيفساء يؤدي إلى تشكيل اللوحة الكلية التي يسهم عقل المشاهد في بنائها، فلا يبقى متلقياً سلبياً أو متماهياً عاطفياً في معاناة الشخصية الرئيسية، من دون وعي مسبباتها الحقيقية في بنية المجتمع المتفككة وفي ذوات بعض أفراده المريضة. وإذا كان الكاتب د. قارصلي في [حريق اللون... حريق الروح] قد اعتمد معماراً بسيطاً يتساوق مع التسلسل الزمني لأحداث حياة الفنان التشكيلي، مركزاً في الآن نفسه على تقنيتي المعايشة والتغريب في الوقت نفسه، بغرض تحقيق احتمالية ومصداقية الشخصية والحدث، فإنه في نص [الإعادة الثالثة للعمر] قد لجأ إلى تقنية في معماره، غاية في التعقيد؛ يمزج فيها بين المسرح والسينما من جهة؛ ويستخدم لعبة المسرح داخل المسرح من جهة أخرى، وفي الإطار السينمائي من جهة ثالثة؛ لاعباً بالمستويات الزمنية بين الحاضر والماضي والماضي البعيد من جهة رابعة؛ محافظاً في كل حين على مصداقية الشخصية في الحدث تارة، وتغريبها تارة أخرى،

مخاطباً وعي المشاهد مباشرة بتقنية مسرحية غير مباشرة. فكانت النتيجة تكاملاً لافتاً بين المضمون والشكل في معمار غاية في الابتكار والفنية لتجسيد موضوع غاية في الحساسية مقارنة بالنص الأول، وهو خصوصية معاناة المرأة المبدعة في مجال الفن.

إن ما تفتقده الحركة المسرحية العربية حالياً هو النصوص الدرامية ذات البنية المتينة والموضوع الاجتماعي ذي الراهنية. وما مسرحيتا هذا الكتاب سوى إسهام مهم ولافت على هذا الصعيد.

د. نبيل الحفار



حريق اللون... حريق الروح

مسرحية من فصل واحد

موسكو - دمشق

١٩٧٩ - ١٩٩٧


الهيئة العامة
السورية للكتاب

ملاحظات عامة حول نص
(حريق اللون... حريق الروح)

- كُتب هذا النص المسرحي بوحي من حياة وإبداع الفنان التشكيلي السوري الراحل لؤي كيالي (١٩٣٤ - ١٩٧٨).
- استُخدم في النص احتمالات للحوار: الأول هو اللغة العربية الفصحى والثاني هو اللهجة المحكية.
- يمكن أن تُنفذ هذه المسرحية بعدد متفاوت من الممثلين، فبالإضافة إلى الممثل١ الذي يؤدي دور الفنان، يمكن أن يشارك ممثل آخر بالأدوار المختلفة وممثلة للأدوار النسائية، أي بثلاثة ممثلين فقط، ويمكن أن يكون بعدد أكبر من الممثلين.
- يمكن استبدال مواقع بعض المشاهد (اللوحات) حسب الرؤية الإخراجية على ألا يسيء هذا للبنية الزمنية لأحداث النص.
- رغم التزام النص بإبداع الفنان لؤي كيالي، فإنه من الممكن أن تستخدم لوحات فنان آخر أو عدة فنانين، إن مصير المبدع الحقيقي متشابه بمأساويته مع اختلافات بسيطة تتفاوت من هذا البلد إلى ذاك ومن هذا الفنان إلى ذاك.
- التفاصيل الشخصية والحياتية مختلفة ولا تتطابق إلا فيما يخص السيرة الإبداعية للفنان.


الهيئة العامة
السورية للكتاب

اللوحة الأولى

(الخشبة شبه فارغة، اثنان مــن الممثلــين يرتــديان ملابس الموظفين وعلى وجهيهما أقنعة حيادية، إنهما يجلسان على كرسيين صغيرين وأمامهما وُضع لــوح خشبي على طاولة صــغيرة، إنهمــا يــأكلان بــنهم ويتحدثان أثناء ذلك بكلام أغلبه غير مفهوم) .

الممثلة : اشترى... على الهيكل... ثم باع..

الممثل٢ : مضت إلى السوق... الذهب... خمسمائة وأحد عشر...

الممثلة : ستمائة وستة وثلاثون..

الممثل٢ : رخيص... كالتراب وأرخص..

الممثلة : الذكي من يشتري الآن... ويغفو..

الممثل٢ : يبيع والقرش يتضاعف... مرتين.. عشرة.

الممثلة : العقار لا يفنى... لا يحترق.

الممثل٢ : الأرض... لا تذوب.. ولا تغرق..

الممثلة : العقار... ماس..

الممثل٢ : الأرض... ذهب..

الممثلة : بلاتين... دولار..

الثاني : نحاس حتى... أو فضة..

(في هذه الأثناء ينهي الاثنان طعامهما، يجمعان البقايا، يأخذ الأول الوعاء المعدني والملاعق، أما الثاني فيجمع الصحيفة التي غطت اللوح الخشبي ويدعكها ثم يلقي بها في سلة المهملات، يقترب الاثنان من اللوح، يهمان برفعه، يتراجعان، كل منهما يشير للثاني أن يرفعه هو، يرفعانه سوية، من الجانب الآخر للوح الخشبي تظهر لوحة للفنان الراحل لؤي كيالي، في البداية لا يلاحظانها، فجأة ينتبهان إلى اللوحة، يصرخان ويتمتمان ثم تتحول التمتمة إلى حوار غير مفهوم، تتصاعد حدته وهما يتجاذبان اللوحة، لا يتضح من كلامهما سوى بضع كلمات من حوار غير مفهوم):

- أنا.. لي.. أنا الأول... سأضربك.. أعطني

- .. اترك... بل دعها أنت.. نبيع.. نخفي... نأخذ... نقتسم..

(أثناء تجاذب اللوحة، تُقسم إلى نصفين غير منتظمين، يذهلان وكل منهما ينظر إلى النصف الذي بقي بين يديه ويهم برفع يده ليضرب الآخر، يُسمع رنين جرس انتهاء دوام العمل، يقرب الاثنان النصفين أحدهما إلى الآخر

لتعود اللوحة قطعة واحدة، يحملها الاثنان بعناية وحذر ويدوران بخطوات متناسقة ويخرجان من الخشبة ليسود الظلام..)

(يصدح صوت الفنان):

[السعادة بالنسبة لي لحظتان.. لحظة إبداع ولحظة تواجد إنساني في هذا الواقع، لذلك أنا مؤمن بتوجيه القضايا الإبداعية بمنحى معين هو الواقع].




الهيئة العامة
السورية للكتاب

اللوحة الثانية

(الخشبة مظلمة، على إطار شدّ عليه قماش حريري أبيض؛ يظهر سلايد للوحة (صباح الخير أيها الحزن)، موسيقى حزينة، يمكن أن تكون للربابة أو لآلة وترية أخرى تقلد عزف الربابة (كمان أو فيولا... ألخ..) يظهر الممثل الذي يؤدي دور الفنان، إنه نحيل، يبدو فتياً، يرتدي ملابس توحي بأنه في بداية العشرينات من عمره ومن أسرة متوسطة، أما الفترة الزمنية فهي نهاية الخمسينات وتحديداً ١٩٥٧، إنه يحمل حقيبة سفر قديمة وتحت إبطه دفتر بسيط للرسم، يظهر الممثل الثاني، قصير القامة، يرتدي ملابس أكثر بساطة، يبدو فقيراً وقلقاً..)

الممثل١: تأخرت..

الممثل٢: أخي.. لم يعطني البنطال..

الممثل١: ولكنه لك اليوم... أليس كذلك؟

الممثل٢: لي.. لديه موعد مع خطيبته..

الممثل١: لا يهم.. أودعك وتمضي مهرولاً لإعطائه البنطال..

الممثل٢: لا ضرورة.. أعاره ابن الجيران بنطالاً.. أجمل من هذا.. مسافر إذاً؟

الممثل١: مسافر.. لا أصدق.. دافنشي.. ميكيل أنجلو، بوتيشيللي..

الممثل٢: ممارستك لهواية الرسم.. لم تذهب سدى..

الممثل١: هواية؟ ممكن.. دعني أرسمك..

الممثل٢: ببنطال أخي؟ أقصد.. ببنطالك القديم.

الممثل١: لا فرق.. سأرسم بقلم الرصاص.. لن يظهر لون البنطال..

الممثل٢: وهل للبنطال لون أصلاً؟

الممثل١: اجلس هنا... اضحك

(يجلس الممثل وهو ممسك بحقيبة الممثل١ الذي يبدأ بالرسم بقلم الرصاص على الدفتر)

الممثل٢: علام أضحك؟

الممثل١: لا على شيء.. اضحك لي.. من أجلي.. بل ابتسم فقط.

الممثل٢: أنت ستسافر وأنا... سأضحك.. هكذا.. متى سترجع؟!

الممثل١: لا أعلم.. مدة الدراسة خمس سنوات..

الممثل٢: خمس سنوات؟ .. وداعاً إذاً..

(يهم الممثل٢ بالنهوض ولكن الممثل١ يشير إليه بألا يتحرك..)

الممثل١: إلى أين أنت ذاهب؟.. انتظر.. دعني أكمل الرسم..

الممثل٢: (بحزن) لا وقت عندي.. يجب أن أعيد البنطال..

الممثل١: لكنك قلت إن أخاك حصل على بنطال من جاره!

الممثل٢: البنطال لأخي الصغير.. لديه حفلة مدرسية..

الممثل١: انتظر.. لحظة..

(يضع الممثل١ حقيبته أرضاً ويفتحها، يُخرج منها بنطالاً جديداً، يتفحصه ويبتسم، يطويه بعناية ويقدمه للممثل٢ الذي تفحص الرسم في هذه الأثناء ويبدو الإعجاب على وجهه).

الممثل٢: لن أخذه..

الممثل١: ستأخذه.. أحلف..

الممثل٢: ستحتاجه.. أنت مسافر.. قد لا توجد لديهم سراويل (طويلة) ولا ملابس أصلاً!

الممثل١: لا تخف.. لديهم كل شيء.. وأفضل مما لدينا..

الممثل٢: الرسم آخذه إن أعطيتني إياه، أما البنطال فلا!

الممثل١: خذ الرسم .. والبنطال لا أعطيـــه لك بل لأخيك الأصغر.. هل يذهب ببنطال عتيق وقذر؟

(الممثل٢ يأخذ البنطال ويهم باقتطاع الرسم من الدفتر ولكن الممثل١ يمسكه من يده ليمنعه من ذلك).

الممثل٢: لا بأس... سأقول لأخي أن البنطال هدية منك...

الممثل١: والدفتر هدية لك... حاول أن ترسم...

الممثل٢: خمس سنوات؟

(يعانق الممثل١ الممثل٢ ثم يضربه ضربات مشجعة خفيفة)

الممثل١: قد آتي في الصيف القادم... إن استطعت أن أعمل أو أدخر بعض النقود..

الممثل٢: انتبه لنفسك... و... اذكرنا...

الممثل١: بالتأكيد... ما الذي ينسيني إياكم؟!

الممثل٢: ماريا... أو... ما اسمها؟ جورجيت..

الممثل١: لا أعرفهما..

الممثل٢: بنات إيطاليا... ينتظرنك الآن في روما...

(يضحك الممثل١ باستغراق وسط دهشة الممثل٢ الذي يبدو أنه بدأ يغضب)

الممثل٢: لماذا تضحك؟

الممثل١: لا شيء... لحظة... إلى أين؟... أريد أن أضمك....

(يمضي الممثل٢ وقد أطرق حزيناً وقد تسارعت خطواته حتى يختفي، يتوقف الممثل١ عن الضحك، ينظر حوله بذهول)

الممثل١: ذهب..

(من وراء الكواليس يظهر رأس الممثل٢ الذي يقول بمرح):

الممثل٢: رافقتك السلامة... والتوفيق... اكتب لي... حتى وأنت في أحضان أنطوانيت وكوليت وجين... لا تنسى... اكتب لي رسائل مستفيضة...

(فجأة تعاود الممثل١ نوبة الضحك، يحمل حقيبته ويصرخ في إثر الممثل الذي اختفى).

الممثل١: في روما لا توجد نساء بأسماء كهذه... في روما توجد دونالوتشيا، ميرابيلا، في روما توجد نافورة الحب ولوحات جيوتو وبييروديللا فراتشيسكا يوجد دافنشي العظيم وميكيل أنجلو العبقري.

(ينظر حوله ويكتشف أنه أصبح وحيداً، يحمل حقيبته، تخفت الإضاءة، وبالتدريج يظهر صوت موسيقى أغنية إيطالية من الخمسينيات، يودع الممثل١ المكان بنظرة فرحة فيها شيء من الدهشة... تعلو الموسيقى، يمشي خطوة، ثم ثانية، ثم يبدأ بالخروج من الخشبة بحركة شبه راقصة دون إسراع بل ويدور وحقيبته بين يديه... تنخفض الإضاءة حتى يسود الظلام على الخشبة... موسيقى الأغنية ما زالت مستمرة).

اللوحة الثالثة

(تستمر الأغنية الإيطالية القديمة وحين تعلو الإضاءة الشاحبة يتبين أننا في غرفة رسام حيث يوضع حامل لوحات ومشجب علقت عليه بعض الملابس وفي العمق ما يشبه السرير الخفيف، ومقابل حامل اللوحات وضع صندوق خشبي غطي بقماش قذر وعليه أصيص فيه زهور شبه ذابلة، تظهر فتاة بملابس تشبه الملابس الغجرية، إنها مبالغة بماكياجها، وبكشف عنقها وصدرها وبالشق الجانبي من الفستان الذي يصخب بالألوان... تدخل الممثلة بحركات مفتعلة شبه راقصة ثم تقف مستندة إلى الصندوق الخشبي بحركة استعراضية ولكن فيها شيء من الرخص، تصدر همهمة بصوت أجش، يتضح فيما بعد أنها خرساء...)

الممثلة : هاه هم...

(تكتشف أنه لا يوجد أحد في الغرفة، تبحث ببصرها ثم تتحرك لترى إن كان الممثل١ مختبئاً في مكان ما في الغرفة).

الممثلة : هوهو!. هوهو؟!

(يظهر الممثل١ وهو يرتدي نفس الملابس تقريباً وقد أضيف إليها شيال للبنطال، إنه يحمل صحناً معدنياً وفيه برتقالة وسكين، يجفل الاثنان ويسقط الصحن في حين تقفز هي إلى الخلف ثم تتنفس الصعداء، يجلس الممثل١ القرفصاء ليأخذ الصحن والسكين، يرفع رأسه وينظر إلى الممثلة نظرة حانقة تتحول إلى الغضب، يلقي بالصحن والسكين مجدداً ويقفز باتجاهها، إنها الآن تدور حول نفسها لتريه كيف تزينت وارتدت ملابس جميلة، ينقض عليها ويمزق لها الفستان بحركة عصبية، تصرخ وتهرب منه، يلحق بها ويحاول تمزيق بقية الفستان فتقعي بخوف وقد رفعت يديها لتحتمي منه، يمد يده ويتجمد للحظة، يبدو عليه الخجل من تصرفه، يحار ماذا يفعل بيديه ويبحث فيجد البرتقالة، ينقض عليها ويختطفها من الأرض ويبدأ بتقشيرها في حين تبدأ الممثلة البكاء بصمت، يقدم لها البرتقالة نصف المقشرة ويحاول رفع شعرها عن وجهها بحركة ملاطفة والإحراج باد عليه، يرفعها ليتوجه بها إلى السرير، ما إن يجلسها ويجلس إلى جانبها حتى تعانقه بحركة مفاجئة، يذهل ويدفعها ولكن دون قسوة، تنظر إليه مجدداً وتجهش بالبكاء وهي تقضم البرتقالة بنهم... يمشي عدة خطوات ويهم بالعودة وهو يعتذر بالإيطالية):

الممثل ١: اكسكوزي سينيوريتا...

(ولكنها تتابع البكاء وهي تقضم البرتقالة، يطرق ثم فجأة يرفع رأسه وقد التمع بريق في عينيه، يلتفت وينظر إليها ثم يشير بيده إليها أن تثبت).

الممثل ١: ابق هكذا... لا تتحركي (يمكن بالإيطالية).

(تنظر إليه وقد أصابها الذعر وتتوقف عن البكاء منكمشة قليلاً على نفسها ولكنه يحاول إرضاءها ويبتسم لها وهو يتوجه إلى حامل اللوحات ويبدأ الرسم...)

الممثل ١: أرجوك... كما كنت (بالإيطالية).

(يرسم بحالة انفعالية شديدة وبحركات قوية عصبية ولكن وجهه يحافظ على حالة من الفرح الصامت والانفعال المبتسم... ينخفض الضوء تدريجياً حتى يسود الظلام...)

اللوحة الرابعة

(الغرفة السابقة ذاتها وقد تحسنت قليلاً فأضيفت بعض قطع الأثاث، كنبة، ضوء في الزاوية، بعض اللوحات التي أسندت هنا وهناك، وعلى الصندوق ظهرت قطعة قماش جديدة وبلون هادئ، على الكنبة يجلس الممثل٢، إنه يرتدي ملابس عصرية ولكن دون مبالغة وقد طال سالفاه وهو يتناول الحساء من صحن عميق زجاجي ويشرب من كأس فيها نبيذ أحمر، في هذه الأثناء يقوم الممثل١ بشد قماش الرسم على إطار خشبي، يفعل ذلك بعصبية ودون كثير إتقان، يبدو أن كلام صديقه الأميركي يثير حفيظته [يتخلل حديث الممثل٢ كلمات بالإيطالية والإنكليزية].

الممثل٢: لا أشك في هذا أبداً.. عندك عقدة نقص وعموماً.. أنتم الشرقيون عندكم عقد نقص تجاهنا.. بالنسبة إليك تقليد فـــان غوغ، بروغل، ميليه، موديلياني اكتشاف... أنا ورائي حضارة غنية هائلة ليس جيوتو وبوتيتشيللي ومايكل فقط.. قبلهم كثيرون..

الممثل١: مايكل؟ آه.. تقصد العبقري ميكيل أنجلو.. (بعدائية) وحضاراتنا هل نسيتها؟

الممثل٢: حضاراتكم؟ الإغريقية، اليونانية، الرومانية حضاراتكم؟ تدمر وبصرى وأفاميا حضاراتكم؟

الممثل١: عن الإغريقية واليونانية والرومانية، عن تدمر وبصرى وغيرها، أؤكد لك أنها من صنع أيدي شعبنا، الرومان والإغريق وغيرهم جاؤوا إلى بلادنا كسلطة عسكرية، استعمارية، همجية.. جاؤوا ليأخذوا خيرات بلادنا.. هل نسيت أن سورية كانت اهراءات القمح للإمبراطورية الرومانية؟! هذا دليل.. الدليل الثاني هو.. من قام ببناء المسارح الرومانية؟ والمعابد؟ والحمامات والقصور والأسواق؟ القواد العسكريون أم جنودهم؟ لا السكان الأصليون، شعبنا الدليل الثالث والأهم .. هل نسيت الفينيقيين؟.. الكنعانيين؟! أنسيت الأشوريين والبابليين والكلدانيين.. هل نسيت كل هؤلاء وقد أهدوا العالم الحضارة والثقافة والعلم حين كان يعيش في ظلام البدائية والجهل؟ كان يجب أن ترسب في مادة تاريخ الحضارة.

الممثل٢: بينِه، بينِه (حسنا).. إذا كان هذا الحديث يضايقك سننهيه، لا داعي للخصام.. بقي القليل ونتخرج وكل منا يمضي إلى حضارته..

الممثل١: (بهدوء) صحيح.. المشكلة أنني أستطيع القول إنني استفدت كثيراً من الإيطاليين ولكن هل سيقول إيطالي واحد إنه استفاد مني؟

الممثل٢: يبدو أن هذا هو سؤال الحضارة..

الممثل١: تقصد سؤال المدنية.. الحضارة ليست ملكاً لأحد.. بل ملك الشعوب التي تنتجها، حتى لو كانت تحت وطأة الاستعمار.. حتى لو كانت خيراتها تنهب ومحاولات التجهيل والتهميش بحقها تستمر.. ولمئات السنين..

الممثل٢: حسناً.. حسناً.. لا تزعج نفسك.. أنا آسف.. لم أقصد إثارتك.. كنت أحدثك لأنني أشعر براحة معك.. إضافة إلى أنني.. (يصمت وكأنه يبحث عن كلمة) أعترف لك، أنا أحسدك..

الممثل١: تحسدني؟ أنت تحسدني؟

الممثل٢: نعم أحسدك.. فعلى الأقل أنت تملك قضية تدافع عنها، قناعة تحارب من أجلها.. قد تخسر ولكنك تملك جوهر حياتك.. هل تعرف ما هي قضيتي؟

الممثل١: آسف.. لا أعرف ما هي قضيتك الآن..

الممثل٢: لدي قضية واحدة الآن.. أن أخلق «صرعة» في الرسم.. أن أكون مختلفاً عن الجميع.. أتفهم؟ بيكاسو، سلفادور دالي، جاكسون بوليك، بونتانا..

الممثل١: (مقاطعاً) لكن الآخرين لا يقارنون بدالي وبيكاسو.

الممثل٢: بالنسبة لنا الجميع يقارن.. «صرعة».. المهم أن تكون صاحب «صرعة» وأنا ماض للبحث عن «صرعتي».. أريفيدتشي.. صحيح كدت أنسى.. شكراً على الطعام.. كان لذيذاً والأهم أنه كان وافراً..

(يخرج الممثل٢ وعليه علائم الإحباط، الممثل١ يضع اللوحة البيضاء الفارغة ويمسك بقلم الفحم ويخط خطاً ثابتاً طولانياً.. يسود الظلام).

اللوحة الخامسة

(ملاحظة: في هذا المشهد يمكن أن يظهر أكبر قدر ممكن من سلايدات أعمال الفنان في مراحله الأولى. على حامل اللوحات تظهر لوحة «من وحي البندقية» وعلى الفور يبدأ تصفيق خجل، يتصاعد التصفيق ولكن بهدوء وانتظام، تسمع كلمات «برافو، بينِه..»..
المصدر الأساسي للضوء في مقدمة الخشبة بحيث تختفي معالم الديكور والإكسسوار ويبقى حامل اللوحات الذي يصبح الآن شاشة لعرض السلايدات.. تظهر لوحة أخرى من أعماله ما بعد الدراسة مباشرة، يظهر الممثل١ وقد ارتدى جاكيتاً فوق ملابسه القديمة، بصحبته رجل يرتدي السموكنغ وقد وضع قبعة عالية على رأسه، يمشي بتفاخر ويتفحص المكان ثم يشاهد حامل اللوحات، يقترب من اللوحة، يضع نظاراته، يبتعد، يقوم بعدة حركات توحي بأنه يشاهد اللوحة من عدة زوايا.. ينظر فجأة إلى الممثل١، يحدق به بعدوانية، ينكمش الأخير، فجأة يقهقه الممثل٢ ويمد يده ليصافح الممثل١).

الممثل٢: (بالإيطالية) جميل.. جيد.. بل رائع.. نعم رائع..

(يقول هذا وينكفئ ليخرج في حين يبدو الممثل مذهولاً).

الممثل١: (بالإيطالية) شكرا.. شكراً..

(من زاوية الخشبة يظهر قناع لجسم كامل يرتدي السموكنغ، في مكان الرأس ثلاثة فراغات للوجه، فوقها قبعات مختلفة، يظهر وجه الممثل٢ في أحد الفراغات)

الممثل٢: (بالإيطالية) لا بأس.. تابع وقد توفق.

(ينتقل الوجه إلى فراغ آخر، يبدل في أسلوب الكلام)

الممثل٢: معقول.. متمكن.. توجد رؤيا..

(ينتقل الوجه إلى فراغ آخر، يبدل أيضاً في أسلوب الكلام، في هذه المرة يكون وجه الممثل٢ في الفراغ الأوسط، في هذه الأثناء يجلس الممثل١ ويأخذ دفتر للرسم ويرسم بانهماك).

الممثل٢: قررت لجنة التحكيم منحك الجائزة الأولى في مسابقة سيسيليا، إنجاز جيد.

(ينتقل الممثل٢ إلى الفراغ الأيمن، الممثل١ يتابع الرسم بعد أن يقلب الصفحة).

الممثل٢: ونمنحك عام ١٩٥٩ الميدالية الذهبية للأجانب في مسابقة رافينا.. وهو إنجاز كبير.

(ينتقل الممثل٢ إلى الفراغ الأيسر، يتابع الرسم وقد انتقل إلى مكان آخر).

الممثل٢: ومن بين فناني إحدى عشرة دولة، نمنحك الجائزة الثالثة في مدينة غوبيو.. ثابر يا بني..

(ينتقل الممثل٢ إلى الفراغ الأوسط ويتنحنح)

الممثل٢: وتفوز يا بني بالجائزة الثانية في مسابقة مدينة ألا تري.. إنك تخطو خطوات سريعة وثابتة وتطور عملك وتتوجه باتجاه أسلوبك المنفرد مما قد يثير حسد زملائك.. إننا نرى فيك فناناً له مستقبل متميز.. نرجو لك التقدير في وطنك سورية..

(من بعيد تسمع موسيقى هادئة مأخوذة من لحن للقدود الحلبية، ينهض الممثل١، يتلفت حوله وقد ساد الظلام تقريباً، يضع الدفتر تحت إبطه، يحمل حقيبته القديمة، يربت على حامل اللوحات الفارغ الآن، يمشي بتباطؤ، ثم يرفع رأسه وقد التمعت عيناه ويركض خارجاً...)

(إظـــــلام)

اللوحة السادسة

(الخشبة شبه فارغة باستثناء طاولة علقت وراءها لوحة كتب عليها «الجمارك»، الممثل٢ جلس على كرسي وراء الطاولة وقد أخفى جزأه الأعلى بصحيفة يقرؤها، إلى جانبه وعلى الطاولة راديو، تصدح أغنية شائعة في فترة الستينات، يقترب الممثل١، إنه يرتدي قبعة «كاسكيت» شتوية ويضع لفحة حمراء على رقبته رغم أنه لم يبدل ثيابه، إنه يحمل حقيبة سفره القديمة ونموذجاً لتمثال فينوس نصف العاري، يقف الممثل١ على مستوى حافة الطاولة وينظر إلى اللوحة، ينظر إلى الموظف المختفي وراء صحيفته، يتنحنح ولكن الأخير لا يبدي أي اهتمام، الممثل١ يسعل ولكن الممثل٢ لا يبدي أية ردة فعل، حينها يهز الممثل بكتفيه ويمشي خطوتين فيعلو صوت الممثل٢ بطريقة فظة):

الممثل٢: إلى أين؟

الممثل١: أنا!... قلت لنفسي

الممثل٢: ضع البضاعة على الطاولة.

الممثل١: البضاعة؟ تقصد التمثال؟

(يُبعد الممثل٢ الصحيفة ويرميها أرضاً، على رأسه قبعة الجمارك، يختطف جواز السفر من يد الممثل١، يفتحه بتكاسل).

الممثل٢: أصبح اسمه تمثالاً الآن؟ ضع هذا الفسق.. والحقيبة أيضاً..

(فجأة ينظر الممثل١ إلى صورة الجواز ثم يقفز مقترباً من الممثل١ وهو يحدق في وجهه).

الممثل٢: هذا أنت؟

الممثل١: طبعاً أنا..

الممثل٢: هذا الشعر الطويل والسحنة.. وتقول أنت هو؟

الممثل١: (يبتسم بود) الحق معك.. الصورة قديمة.. قبل سفري الأول..

الممثل٢: (بسخرية) قديمة؟ وقد تكون لأخيك.. وجواز السفر؛ أليس لإبنة الجيران؟

الممثل١: ولكن الاسم اسمي وأستطيع...

الممثل٢: هذا ما سنتأكد منه.. هيا.. دون أن نفتح أو نغلق.. ما الذي جلبته معك؟.. (صارخاً) اعترف منذ البداية.. ما هي الممنوعات التي معك؟

الممثل١: ممنوعات؟.. عفواً ما هو الممنوع؟

الممثل٢: وكأنك لا تعرف.. أمثالك لا يخضعون إلا حين نفضح أمرهم.

الممثل١: (يبدو عليه الضيق) عفواً.. أنا لا أسمح.. أنا فنان.. كنت أدرس في الأكاديمية في روما.

الممثل٢: كل المهربين فنانين.. لماذا لا تفتح الحقيبة؟

(يحاول الممثل١ فتح الحقيبة ولكنها تستعصي عليه فيثور أكثر ويضربها بيده).

الممثل١: هنا.. يجب ضغط هذا اللسان.. فتحت..

(يقفز الممثل٢ إلى الوراء ثم ينظر إلى الممثل١، يقترب منه بالدوران حول الطاولة، يحدق به بنظرة متهمة):

الممثل٢: ما الذي في الحقيبة؟.. قل قبل أن أتفقدها.

الممثل١: في الحقيبة بعض الملابس.. ولوحات.. قلت لك: أنا فنان تشكيلي..

الممثل٢: فنان؟.. أنا أعمل في الجمارك منذ عشر سنوات.. ماذا؟ ماذا.. آه... فسيفساء.. ولكني أعرف أنهم يخرجون التماثيل وتلك التي تُسمى.. ماذا؟ ماذا.. آه.. فسيفساء.. ولكني خلال حياتي لم أر أحداً قد جلب تماثيل كهذه..

(في هذه الأثناء يخرج لفة ويفتحها فتتساقط بعض اللفات الخيشية، في حين ينظر الممثل٢ إلى التي في يده ويقول متابعاً بامتعاض)

الممثل٢: اعترف.. ما الذي تخفيه وراء هذه التفاهة؟

الممثل١: ما أخفيه وراءها؟ .. كل شيء: أفكاري.. حزني وفرحي وألواني.. ذكرياتي وشوقي.. حناني وحنيني..

(يقول الممثل١ المقطع الأخير بشيء من الحيادية وإقرار الحقيقة وكأنه يقولها لنفسه، أثناء ذلك يقوم الممثل٢ بإخراج اللوحات القماشية وبعض المظاريف التي احتوت على رسوم ودراسات، ينظر إلى بعضها ويبتسم ولكنه يمسك أخرى بالمقلوب فيساعده الممثل١ لإعادتها.. بعد ذلك لا ينظر الممثل٢ إلى اللوحات بل يغوص في الحقيبة ملقياً ما فيها من لوحات جانباً، أحياناً يعود إلى رسم امرأة عارية ويبتسم بخبث، لكنه سرعان ما يفرغ الحقيبة من محتوياتها فينظر بغضب إلى الممثل١).

الممثل٢: هذا فقط؟

الممثل١: نعم.. ماذا يجب أن يكون أيضاً؟

الممثل٢: الهدايا؟ المهربات! الدخان والمشروبات؟ أين الملابس الداخلية النسائية؟ أين الروائح الفرنسية؟

(الممثل١ يجمع اللوحات بعصبية، يخرج علبة سجائره ويهم بإشعال واحدة فيختطفها منه الممثل٢)

الممثل٢: حتى كرم الضيافة نسيته هناك؟ تغيبون لأشهر وتنسون حليب أمهاتكم.. (يسعل بقوة بعد أن سحب الدخان) اللعنة.. ما هذا؟

الممثل١: لا تؤاخذني.. تبغ رخيص.

الممثل ٢: رخيص؟ أم حشيش؟

الممثل ١: الحشيش يأخذونه من عندنا..

الممثل ٢: لست هيناً.. توقف.. أليس هذا العري عيباً؟

الممثل ١: هذه نسخة لتمثال.. (يصمت ويستدرك بأن يخلع اللفحة الحمراء ويلفها حول صدر التمثال).

الممثل ١: هكذا أفضل؟

الممثل ٢: لا بأس خذ جواز سفرك وأهلاً وسهلاً.. الحمد لله على السلامة..

الممثل ١: شكراً.

الممثل ٢: وأين أصرف هذه الشكراً ؟ أقول الحمد لله على السلامة..

الممثل ١: لا تؤاخذني لم أجلب معي شيئاً.

الممثل ٢: والنقود! جلبت نقوداً لأهلك عوضاً عن الهدايا.. أليس كذلك؟

الممثل ١: آسف.. سأهديهم من لوحاتي.

الممثل ٢: تهدي أهلك لوحات؟ هل سيرتدونها أم سيأكلونها؟

الممثل ١: إذا اضطروا يمكن أن يبيعوها.. كثير من الفنانين يبيعون أعمالهم..

الممثل ٢: وأنت.. تبيع منها؟

الممثل ١: بعت عدة لوحات في إيطاليا.

الممثل ٢: كم ثمن الواحدة؟

الممثل ١: حسب حجمها وموضوعها والتقنية المنفذة.

الممثل٢: لا أريد محاضرة.. واحدة بهذا الحجم كم ثمنها؟

الممثل١: عندنا حوالي مائة أو مائة وخمسون ليرة.

الممثل٢: أوو! أكثر من نصف راتبي.

الممثل١: يمكن أقل قليلاً.

الممثل٢: (يتفحص اللوحات) أحببت هذه الورود.

الممثل١: شكراً لهذا اللطف.

الممثل٢: أقول لك أحببتها، تجيبني شكراً؟ بدلاً من إعطائي إياها؟ ما نوعك أنت؟؟

الممثل١: أسف.. اعتقدت أنك غير مهتم بالفن.

(الممثل٢ يختطف اللوحة يلفها ويضعها في درج الطاولة ويخرج منديلاً قذراً يمسح به عرقه وهو يتمتم).

الممثل٢: غير مهتم؟! مائة ليرة ولا أهتم؟ مع السلامة.

الممثل١: الوداع.. (يعود) عفواً.. اللوحة بحاجة إلى إطار.. لا داع لإطار ذهبي إطار من الخشب العادي.. جوز أو أي نوع متين.

الممثل٢: (بسخرية) طبعاً.. من خشب الجوز.. بل من الزان.. أنت تأمر فقط، تقول إطار ذهبي؟ هل تعتقد أنني جننت؟ اذهب قبل أن أعيد تفتيشك.

(الممثل٢ يلاحق الممثل١ الذي ينسحب متراجعاً وبسرعة يخرج

من الخشبة في حين يعود الممثل٢ وينظر مجدداً إلى

اللوحة ويتمتم بارتياح).

الممثل٢: هؤلاء الفنانين مجانين.. سأبيعها بخمسة وسبعين ليرة..

بخمسين لا بأس.. بل أرضى بعشرة.. خمسة تكفي..

(تنخفض الإضاءة مع الكلمات الأخيرة للممثل٢ حتى

يسود الظلام)

اللوحة السابعة

(من الإظلام يظهر الممثل١ ضمن بقعة ضوء محددة جداً، إنه يجلس على كرسيه مقابل الصندوق الذي وضع عليه قماش وفوقه أصيص من الزهور الطبيعية الشائعة.
الممثل يرسم على دفتر رسم عادي ولكن باحترافية، يقترب الممثل٢ بملابس صبي في المدرسة، يقف وراء الأستاذ وقد رفع يده والسبابة ممدودة، يده الأخرى على خده الأيسر متظاهراً بالألم)

الممثل٢: ضرسي يؤلمني.. الألم لا يطاق

الممثل١: ضرسك؟ حسن.. اذهب.. ضع عليه أسبرين وتمضمض بالماء والملح.

(يخرج الممثل٢ مسرعاً، في حين يلتفت الممثل باتجاه الظلام، تسري همهمة، يقول الممثل١ بصرامة أستاذ)

الممثل١: كفاكم ثرثرة.. نحن في الدرس... يجب أن تحترموا درس الرسم أكثر من غيره .. أترون الزهور ؟ فيها اللغة العربية والأجنبية، العلوم والفيزياء، فيها الرياضيات والكيمياء وعلم الاجتماع..

صوت تلميذ: (من خلال الضحك) علم الاجتماع أيضاً؟

الممثل١: ولم لا؟ من زرعها؟ من صنع الأصيص؟ من حملها وباعها وجلبها؟ أليس هذا علم اجتماع؟

(في هذه الأثناء يقترب تلميذ آخر وهو مطأطئ الرأس)

الممثلة : أستاذ... هل تسمح لي بالخروج.. لدي مذاكرة في مادة الجبر، إذا لم أنجح فيها أرسب السنة كلها.

الممثل١: وأنت في أي درس الآن؟

الممثلة : في درس الرسم

الممثل١: وإذا رسبت في درس الرسم؟

الممثلة٢: (تبتسم وتشيح بيدها بمعنى «لا يهم») مادة الرسم لا ترسب يا أستاذ.

الممثل١: هذه هي المصيبة.. مادة الرسم لا ترسب.. اذهب.. (باتجاه الظلام).

من شاء الخروج فليخرج (ينهض غاضباً) من يؤلمه بطنه.. فليخرج.. من لديه امتحان اللغة الانكليزية، الفرنسية فليخرج، تلاميذ الرياضة.. من ينتظره صديقه، من ضربه والده، ومن كسرت ساق ابن جاره فليخرج أيضاً، من وضعت ابنة خالة أمه توأماً.. بإمكانه المضي.. بإمكانكم جميعاً الذهاب لأن مادة الرسم لا ترسب في المدرسة.

(يقترب تلميذ وبيده دفتر الرسم، يمد يده ليري الممثل١ ما رسم، الممثل١ لا ينتبه إليه).

الممثل ٢: هكذا معقول أستاذ؟

الممثل ١: (في فورة غضبه) اذهب أنت أيضاً.. ماذا تنتظر؟

(يشاهد الرسم فيستدرك) عفواً يا بني.. عظيم.. ممتاز.. ولكن لاحظ.. لديك الظل في عدة اتجاهات، هذا يعني أن مصدر الضوء آت من مصادر عدة، انظر هناك.. هل ترى أين هو مصدر الضوء.. والظل!!

(تنخفض الإضاءة تدريجياً بينما الممثل ١ يتابع كلامه حتى يسود الظلام).

اللوحة الثامنة

(من خلال الإضاءة التي تتصاعد تدريجياً؛ تظهر غرفة الفنان، يميزها حامل اللوحات وإلى جانبه أدوات الرسم والكنبة والتمثال (من المشهد السادس). يظهر الممثل١ وقد استبدل ملابسه بارتداء قميص أبيض يعقد أزراره أثناء دخوله، يلاحظ وجود لوحة كبيرة بيضاء وضعت إلى جانب الكنبة، يأخذها ويضعها على الحامل، يقف أمامها بشكل يعكس ظله عليها، يفكر، يطرق ثم ينظر إلى اللوحة الفارغة، ينظر حوله، ثم يعود للنظر إلى اللوحة، يتلمس سطحها الخشن، فجأة يبدأ ببحث متوتر حوله، يجد قلم الفحم على الطاولة، يختطفه ويقترب من اللوحة البيضاء ولكنه يكتشف أنه لوث قميصه بالفحم، يهز رأسه أسفاً ويهم بالرسم، تدخل الممثلة وهي ترتدي ملابس أنيقة محافظة توحي بفترة بداية الستينات، إنها تحمل ربطة عنق داخل غلاف من النايلون، تلقي بحقيبتها على الكنبة وتشهق بدهشة):

الممثلة : ماذا تفعل؟ سيفتتح المعرض بعد نصف ساعة!

الممثل١: أ.. أنا.. خطرت لي فكرة.. منذ مدة طويلة أرغب..

الممثلة : (مقاطعة) يا أخي.. يا عزيزي.. جئت خصيصاً من حلب، ويمكن أن يأتي الوزير مع جمهور الافتتاح.. وأنت تقول لي فكرة! ياه.. ماذا فعلت بالقميص؟ كيف؟؟

(ينظر الممثل١ إلى القميص الذي تلوث، يحاول إزالة الآثار السوداء مبتسماً وكأنه يعتذر، تبدأ الممثلة بمساعدته للتخلص من القميص).

الممثلة : لا يمكنك حضور الافتتاح بهذا القميص.. ألديك قميص أبيض آخر؟

الممثل١: لا.. لدي قميص كحلي.. وآخر أسود.. قذر.

الممثلة : كحلي وأسود قذر لا يمكن وضع ربطة عنق عليهما.

الممثل١: ربطة عنق؟ لا تنقصني إلا ربطة العنق.. سأختنق بها.

الممثلة : يا ويلي منك.

الممثل١: أختي.. لا تحزني.. سأرتدي الأسود.

الممثلة : (متابعة) القذر.

الممثل١: مع الحذاء الأصفر.

(تنهار الممثلة على الكنبة وتضع يديها على رأسها في حركة يائسة)

الممثلة : ارتد ما تريد.. المهم أن تسرع.. ليس من اللائق أن تتأخر.

(ترفع الممثلة رأسها فتجد أن الممثل١ قد عاد إلى اللوحة البيضاء، ها هو يحرك يده الممسكة بقلم الفحم في مختلف الاتجاهات دون أن يقدم على وضع الخط الأول، تدهش وتقف وتصرخ به):

الممثلة : هل سمعتني؟ بسرعة.. الناس بانتظارك.. معرضك الأول في وطنك وأنت تريد أن ترسم؟ هيا.. الآن، ارتد ملابسك.

(تبدو عليه الحيرة وشيء من الخوف من نوبة انفجارها، يضع قطعة الفحم في مكانها ويتحرك لعدة خطوات دون هدى ثم يلتفت إليها ويشير لها أن تهدأ).

الممثل١: لا تقلقي.. ثوان.. أبدل القميص ونذهب إلى المعرض.. أنا آسف فعلاً، ففكرة اللوحة لخبطتني.. لا تؤاخذيني.. يمكن حتى ألا أستبدل القميص، نخفي البقعة بالسترة الرمادية.. اهدئي.. أأجلب لك ماء؟ حسن اسبقيني وخلال ثوان أكون وراءك.

(تبدأ الممثلة بالضحك، يتصاعد ضحكها بحيث يصبح قهقهة هستيرية، تدريجياً يسود الظلام على الخشبة).

اللوحة التاسعة

(يُبنى هذا المشهد على استعراض سلايدات لوحات الفنان، معرضه الأول(*). بعد استعراض عدة لوحات يظهر الممثل١ إلى جانب الحامل، بالكاد يرى فمصدر الضوء الوحيد هو السلايد، يقف وهو مطرق ويبدو عليه الاستغراق لكن الممثلة بملابس المشهد السابق تظهر وتحاول إصلاح هندام الممثل١ لتختفي ثم تظهر من الجانب الآخر، يسمع صوت خارجي يقدم للمعرض):

الصوت: في هذا المعرض، نجد أنفسنا مع بوتيتشللي وهو يرسم حبيبته في فلورنسا على صورة فينوس ساعة ولادة الجمال فيها، أو أننا في أروقة الكنائس والكاتدرائيات الفخمة القديمة.. (**)

(*) ١٩٦١ أقام الفنان لؤي كيالي معرضه الأول في دمشق في صالة الفن الحديث، ضم المعرض ٢٨ لوحة زيتية و٣٠ رسماً، لاقى المعرض نجاحاً كبيراً وأثار ضجة في حينه.

(**) كلمة الدكتور سلمان قطاية في معرض الفنان لؤي كيالي الأول.

(في هذه الأثناء تقوم الممثلة بمحاولة مسح عرق الممثل١ ولكنه يبعد يدها ويعود للإطراق والحرج ظاهر عليه).

الصوت: ... وقد انتصب على جدرانها قديسون بجلال رهيب ووقار ملكي ووقفت الملائكة..

(ينخفض الصوت تدريجياً وتظهر موسيقى لآلة منفردة تعزف لحناً مرحاً من وحي الموسيقا الإيطالية القديمة ثم تتحول تدريجياً إلى موسيقى حزينة شرقية..

تتالى الرسوم ثم تنخفض الإضاءة تدريجياً وكذلك صوت الموسيقى، تسود لحظة صمت ثم فجأة تصدح أصوات التصفيق والتهليل، في بقعة الضوء يقف الممثل١ وهو محرج ينظر حوله ويبتسم، ثم يتجهم و يمسح عرقه بمنديل تقدمه له يد الممثلة.. تُسمع أصوات تتخلل التصفيق):

أصوات: برافو.. عظيم.. برافو.. رائع.. ولا أجمل.. مختلف.. جديد.. طازج.. ممتاز.. جميل.. جميل..

(يسود الظلام)

اللوحة العاشرة

(من الظلام ينبثق ضوء فوق الكنبة التي يجلس عليها الممثل١، إنه يحدق باللوحة البيضاء، حوله تناثرت الأوراق وبعض الصحف والمجلات، تدخل الممثلة بملابس منزلية إنها تحمل صينية عليها كأس كبيرة من الزهورات يتصاعد منها البخار.. تقدم له الكأس، يأخذه بحركة آلية وهو يفكر باستغراق، يهم بإشعال سيجارة ولكن الممثلة تمسك يده التي أشعلت عود الثقاب..)

الممثلة : أرجوك يا أخي.. أجل هذه اللفافة قليلاً.. طوال الليل لم ينقطع سعالك..

الممثل١: كنت أسعل لأنني غيرت سجائري.

(في هذه الأثناء ترفع له يده الممسكة بالكأس ليشرب منها، يرشف رشفة ثم يضع الكأس وهو يتابع أخته التي بدأت تجمع الأوراق من حوله).

الممثلة : قرأت ما كتب هنا عنك؟ اسمع:

«لقد طرح معرضه الأول تساؤلات عديدة، ومهما يكن من أمر فإن أعماله في هذا المعرض كانت إشارة كافية لوضع (تنظر بدهشة للممثل١ الذ

وأجلسها مكانه وقد وضع الكأس جانباً).

الممثلة : ما بك؟.. ماذا حصل لك؟

الممثل١: لا شيء.. أرجوك ابق هكذا.. لحظة.

(يأخذ كتاباً ويعطيها إياه بعد أن فتحه، يعد جلستها ووضعية يديها، يبتعد وهو ينظر إليها، يدير حامل اللوحات ويبدأ بالرسم بانهماك).

الممثل١: أرجوك يا أختي.. ابق هكذا.. اثبتي.. يمكنك متابعة الكلام، فقط لا تبدلي وضعيتك..

الممثلة : (تعود للصحيفة) أين توقفت؟ آه.. هنا «كانت إشارة كافية لوضع إمكاناته وطاقاته الجاهزة ضمن طريق خاصة به، محددة المعالم، طريق مميزة بكل معالمها، طريق تؤلف اتجاهاً خاصاً لفنان ذي أسلوب مختلف كل الاختلاف عن الاتجاهات السائدة بين فناني القطر...»

(ترفع رأسها وتقول للممثل١ بشيء من التأثر)

الممثلة : كلام حلو.. حلو جداً.. و..

الممثل١: (مقاطعاً) أرجوك لا تحركي يدك.. هكذا.. بالضبط.. خمس دقائق فقط.. ألتقط اللحظة وبعدها أنت حرة.. طليقة.

الممثلة : (تتثاءب) خمس دقائق .. أكاد أموت من النعاس.. آه تذكرت؛ ألن تتزوج؟ معرضك ولاقى نجاحاً كبيراً.. بيعت أغلب اللوحات.. أصبحت معروفاً بين فناني

البلد.. لم تبق صحيفة إلا وكتبت عنك.. أجبني، متى تتزوج؟

الممثل١: أنت حرة الآن.. يمكنك المضي إلى الفراش..

(تتثاءب الممثلة ثانية، تضع الصحيفة جانباً وتنهض، يتابع هو عمله، تقترب هي وتنظر إلى اللوحة)

الممثلة : هذه أنا؟

الممثل١: هذه «القارئة»..

الممثلة : لا تشبهني أبداً!

الممثل١: هل هذا ضروري؟

الممثلة : لا.. الضروري هو متى ستتزوج! أجبني.

الممثل١: بعد المعرض..

الممثلة : ما بك؟ المعرض انتهى منذ مدة.

الممثل١: بعد المعرض القادم.. ألا تريدين أن تنامي؟

الممثلة : هل ستعمل طويلاً؟

الممثل١: قد أعمل حتى الصباح.

الممثلة : تصبح على خير.

(تمضي الممثلة ويتابع الممثل١ العمل بشيء من الراحة، إنه يحمل الفرشاة بيد وحامل الألوان بيده الأخرى، يبتسم ثم يعقد حاجبيه.. تنخفض الإضاءة وعلى شاشة السلايد تظهر لوحة «القارئة» لعدة ثوان.. يسود الظلام).

اللوحة الحادية عشرة

(طاولة وضعت عليها كمية من الرسوم، الممثل٢ وقد وضع نظارات على عينيه وغليون في فمه، يتفحص اللوحات باستعراض الأعمال، أحياناً يهز رأسه إيجاباً وأحياناً بحركة أسف، بعض الرسوم يبعدها عن وجهه بل ويضع البعض ويبتعد بحركات متعجلة.. لا يتمالك الممثل١ نفسه فيقول بإلحاح):

الممثل١: هه.. ما رأيك؟

الممثل٢: (يتنحنح) مقبول.. معقول.. (يخلع نظارته).. بعض الأعمال جيدة.. بل ممتازة.. ولكن...

(الممثل١ يتفحص الرسوم حسبما فرزها الممثل٢ ضمن مجموعات)

الممثل١: ماذا؟

الممثل٢: أعتقد أنك تخطئ بتوجيهك للطلاب بالاتجاه الأكاديمي، أسلوب قديم.. عفى عليه الزمن.. أنت عشت في أوروبا وفي إيطاليا بالذات عاصمة الفن التشكيلي، ولا شك أنك اطلعت على الاتجاهات الحديثة، على حركة

تحرير الفن من قيوده التقليدية، إطلاق يد ومخيلة الفنان وحريته، رفضه لكل ما هو قديم وتقليدي عفن.

الممثل ١: عفواً يا زميل.. أنت تتحدث عن طالب في المعهد العالي للفنون الجميلة؟

الممثل ٢: نعم.. الطالب مشروع فنان.

الممثل ١: ولكن هذا المشروع سيكون عفناً إذا لم يتعلم ألف باء الفن التشكيلي.

الممثل ٢: أعرف ما ستقول... لا بأس أن يدرس التشريح، ولكن هل من الضروري أن يرسم مثل رفائيل؟ لماذا لا يختار بيكاسو؟!

الممثل ١: لأن بيكاسو نفسه بدأ يرسم كرفائيل، ثم تطور وتغير وكان هذا ناتج عن ضرورة، ضرورة اجتماعية وسياسية ونفسية وعاطفية.. هذه الضرورة تحولت لتصبح حاجة إبداعية... أسلوب في التعبير.

الممثل ٢: يا عزيزي.. هل تريد أن تقرأ لي محاضرة؟ إنني لا أتدخل في أسلوبك التعليمي.. ومجلس الأساتذة سيحسم خلافنا.. كل ما هنالك أنني أبديت رأيي وأنت تتشبث برأيك..

الممثل ١: القضية ليست قضية آراء.. أنا أفترضها قضية ضمير مهني.

الممثل ٢: عفواً؟!

الممثل١: إذا نحن لم نحسن تأسيس طلابنا سيلعنوننا عند أول امتحان عملي لفنهم.. ليسوا هم فقط، سيلعننا الجمهور.. وفي النهاية سيلعننا الوطن.

الممثل٢: لم أكن أتوقع منك هذه الحدة.. الآن فقط فهمت قول أحدهم بأنك تحسن اكتساب الأعداء..

الممثل١: أعداء؟!

الممثل٢: إلى اللقاء... وأعتقد أن بعض لوحاتك متأثرة بشكل مباشر بأعمال فنانين معروفين ليس فقط في إيطاليا.

(يقول الممثل٢ هذا ويندفع خارجاً وقد تعمد ضرب الرسوم بيده بلا مبالاة حيث تساقطت على الأرض، يهم الممثل١ بقول شيء واللحاق بالممثل٢ ولكنه يحجم، يشعل سيجارة، يمشي بعصبية وفجأة يلاحظ الرسوم المتبعثرة أرضاً، يجلس القرفصاء ويبدأ بجمعها، فجأة يتوقف عند أحد الرسوم، يبتسم وتتغير ملامحه إلى شيء من الهدوء الطيب ويتمتم):

الممثل١: هذا الشاب له مستقبل.. جميل.. أحسده على هذا الإحساس بكل شيء.

(تنخفض الإضاءة بشكل تدريجي حتى يسود الظلام.. الممثل١ يتفرج على الأعمال الأخرى).

اللوحة الثانية عشرة

(من الظلام تظهر طاولة تبدو أنها في مقهى وقد وضعت عدة كراس حولها وإبريق معدني للماء مما يستخدم في المقاهي. يجلس الممثل١، إنه يقرأ في صحيفة وهو يرتشف القهوة، إنه مستغرق في القراءة ولكن يبدو عليه التوتر، يشعل لفافة، يغلق الممثل١ الصحيفة بعنف ويلقي بها على الطاولة ولكنها تسقط أرضاً فيرفعها).

الممثل١: جئت؟

الممثل٢: ألا تريد يانصيب؟

الممثل١: نصيبي أعرفه (يلوح بالصحيفة) أحصل عليه وزيادة.

الممثل٢: يكتبون عنك في هذه الصحيفة؟

الممثل١: هذه ليست كتابة.. بل شتائم.. قذارة..

الممثل٢: لا تؤاخذني.. أزعجتك.. أتركك بخير.. (يهم بالانسحاب).

الممثل١: اسمع.. ساقاك.. كيف حصل لك هذا؟

الممثل٢: لم يحصل.. منذ الولادة.. شلل أطفال..

الممثل١: تتألم؟ أقصد حين تمشي.

الممثل٢: لا، أتعب.. ولكن ماذا أفعل! يجب أن نعيش.

الممثل١: هل تعيش مع الأهل؟

الممثل٢: مع الأهل.. الأب سكير.. والأم لا تتوقف عن العمل والإنجاب.

الممثل١: لديك الكثير من الأخوة؟

الممثل٢: ست بنات، أنا الصبي الوحيد.. نصف صبي.

الممثل١: اعذرني، هل أزعجتك بسؤالي؟

الممثل٢: لا.. قلما يسألني أحد عن أحوالي.. أغلبهم يحاولون معي.

الممثل١: يحاولون معك؟

الممثل٢: أدافع عن نفسي بهذه (يلوح بالعكاز) أتركك بخير.

(يلتفت الممثل٢ ويهم بالمضي، ينهض الممثل١ ويبحث في جيوبه، يخرج النقود، يضع ورقة نقدية على الطاولة وأخرى في جيبه ويمد يده للممثل٢).

الممثل١: اسمع.. توقف.. خذ هذه.

الممثل٢: ما هذا؟ عفواً يا سيدي أنا لا أشحذ.

الممثل١: وأنا لا أتصدق على الشحاذين.. كم تكسب في اليوم؟

الممثل٢: حسب.. أربع.. خمس ليرات.. أحياناً ثلاث.. اليوم لم أبع ولا ورقة.

الممثل١: هذه خمس ليرات.. خذها وأريد منك شيئاً.

الممثل٢: لم أتوقع أنك منهم.. حسبتك مثقفاً.

الممثل١: وأنا مثقف.. اللعنة، أقصد فنان، رسام.. أعطيك هذه النقود لتقف أمامي.. أريد أن أرسمك..

الممثل٢: أقف؟.. كم من الوقت؟

الممثل١: ساعة في اليوم.. ثم تجلس وتشرب شيئاً.. ثم ساعة أخرى.

الممثل٢: وعدد الأيام؟

الممثل١: يومين.. ربما خمسة.

الممثل٢: موافق.. ولكن بشرط.. حين أبيع أوراق اليانصيب آخذ ليرتين في اليوم وحين لا أبيع أخذ ثلاث.

الممثل١: تاجر محنك.. أعطيك ست ليرات في اليوم وتطلب ليرتين؟

الممثل٢: أنا أعرف أنك تريد أن تساعدني.. تشفق.. وأنا لا أريد شفقة ولا صدقة.. أنا أعمل وأريد أن أحصل على النقود من العمل..

الممثل١: أنت ظريف جداً.. سأكشف لك سراً.. ولكن دعني أضع رسماً تخطيطياً لك.. قف مقابل النافذة.. بل استند على الباب.

(يستند الصبي على الحامل المغطى والذي يبدو الآن وكأنه باب مفتوح)

الممثل٢: ما هو السر؟

الممثل١: السر هو أنك أنت الذي تساعدني وليس العكس.. إذا استطعت رسمك كما أتخيل سأحقق ما أرغب به.. و...

الممثل ٢: وتساعدني.

الممثل ١: آسف.. لا.. قصدت أنني بهذا سأرد على هؤلاء (يشير إلى الصحيفة) ولكنك لن تفهم الأمور..

الممثل ٢: فهمت.. هل نشروا صورة لك؟

الممثل ١: لا.. بل نشروا صورة كاتب المقال.. أتريد أن تراه؟

الممثل ٢: لا.. لا أريد رؤيته.. أعرفهم..

الممثل ١: هي يمكن أن تحني رأسك قليلاً؟.. وكأنك ترتاح.

الممثل ٢: هكذا؟

الممثل ١: بالضبط هكذا.. عظيم.. بل.. مؤثر.. أظن أنها الكلمة الأدق.. مؤثر..

(تدريجياً يسود الظلام)

اللوحة الثالثة عشرة

(من الظلام يظهر سلايد لوحة بورتريه «بائع اليانصيب»، ثم تظهر سلايدات للوحات أخرى.. تتابع ظهور اللوحات عبر الإظلام وعلى أنغام موسيقى مرحة هي مزيج من موسيقى عربية وإيطالية قديمة، من كل جانب للخشبة تظهر علاقة عليها رأسان بقناعين وقد ألبست ملابس «السموكنغ»، بعد ظهور ثلاث أو أربع لوحات تبدأ همهمات ثم كلمات متفرقة.. وعموماً فإن حوار هذا المشهد مسجل ومع مضخم وصدى).

صوت١: هم.. هم..

صوت٢: أوو.. أوو..

صوت١: ها!!.. هاهاها

صوت٢: آآه.. أوو.. ها.. ها

صوت١: هووو... هي هي هي.. هووو

صوت٢: ها، ها.. بينه.. جميل (بالإيطالية)

صوت١: لا بأس.. معقول

صوت٢: حساس، شفاف.. رقيق (يمكن بالإيطالية)

صوت١: يجتهد.. ليس جديداً.. أيدي الفنانين الطليان واضحة.

صوت٢: «تبدو الشخوص الإنسانية محاطة بتناغم إيقاعي من الخط ومقدمة في جو لوني مدروس محكم، كما في الرسوم الحائطية الشرقية القديمة، تطالعك في لوحاته ثقة حية بالأشياء والإنسان..» (فاليريو مارياني - ناقد إيطالي).

(يظهر الممثل١ ويجلس بيده رزمة من الأوراق وقصاصات الصحف والمجلات، بعد أن تنتهي فقرة كلامية ينظر باتجاه إحدى العلاقتين ويلقي بورقة من يده وكل هذا متزامن مع ظهور سلايدات اللوحات والإضاءة التي تنتقل بين العلاقة الأولى والعلاقة الثانية)

صوت١: إنه يسعى للإدهاش.. ينقل تجارب الآخرين.. وبحرفية.. (صحفي محلي).

صوت٢: إنه يمثل وجه الحضارة العربية المعاصرة. (فازنتيني ناقد إيطالي).

صوت١: لم يوفر فنان إلا وأخذ منه، من مايكل أنجلو وحتى من فان كوخ.. يجب أن يتمتع الفنان بالأخلاق قبل كل شيء – (ناقد محلي).

صوت٢: «تقدم أعماله رسالة جيدة بالكلمات الفنية، غنية بالألوان المتقاربة من بعضها، وبالرغم من أن هذه الأعمال قد

قدمت من وجهة نظر فردية جداً، إلا أنها قدمت بثقة وبتعبير جيد» - (من مقالة نقدية في صحيفة إيطالية).

صوت١: مكرر للمواضيع، تكرار للألوان، مع تكرار في المصادر... لا يمكن لصرعة أن تدير رؤوسنا حتى لو نسخت عن أصول فنية إيطالية– (فنان تشكيلي محلي).

صوت٢: إن العمل الفني هو الفريد في تجربته التي لا تتكرر إطلاقا، خلال طرحه لموضوع محدد (مكرر) يضيف إلى شخصيته الفنية منهاجاً مميزاً، إلى رصيده، ساعد على تحديد معالم أعماله. وأكسبها فرديتها التي تبدو بها.. – (فنان محلي أيضاً).

صوت١: لا يمكن السكوت على السرقة وخاصة أنها تبرر نظرياً وبسذاجة.. لا يمكن إن نترك من يستخدم أساليب لا أخلاقية في عمله الحرفي، نتركه يربي أجيال الفنانين الشبان – (فنان وناقد محلي).

صوت٢: هذا الفنان يصنع قدراً جديداً لفن بلاده... إنه يمنحنا نفحة جمالية فريدة تمتزج فيها رؤيا قوية وواضحة مع خط قوي وألوان متناغمة منسجمة.. إنه صوت يصدح بشفافية الشرق ومتانة الغرب – (ناقدة إيطالية).

صوت١: بالطبع فليعمل الجميع.. ونحن بدورنا نفضح ما يخفيه أي دعي.. ليس هكذا نصنع فناً خاصاً بنا.. ليس هكذا – (فنان تشكيلي وناقد ومؤرخ وباحث.. ومهندس محلي).

(خلال المشهد يتصاعد توتر الممثل١ ويبدأ بتمزيق الأوراق والصحف، يشعل سيجارة ويشعل إحدى الأوراق بها، وحين يبدأ بإشعال ورقة ثانية، الممثل٢ يجلب العلاقتين بحيث تصبحان على جانبي الممثل١، تتوقف السلايدات عن الظهور ويقترب الممثل٢ ويخرج دفتراً للملاحظات ويبادر بسؤال عدائي النبرة وبصوت حي غير مسجل):

الممثل٢: كيف تنظر إلى أهمية النقد الفني ووظيفته في الحياة التشكيلية المعاصرة؟

الممثل١: «.. لي رأي خاص جداً في النقد الفني بصورة عامة... ولو أنه رأي حاد وصريح..

تنتهي مهمة الفنان حين يقدم إنتاجه للجمهور، ولا يحق لأي كان، طلب شرح الإنتاج الفني من الفنان، وإنما من شخص آخر يدعى الناقد الفني.. له من المؤهلات الحسية والجمالية ما يقربه من إنتاج الفنان ويدفعه إلى تذوق العمل الفني الخالص، كما له من المؤهلات الثقافية والفنية ما يدفعه...»

الممثل٢: (مقاطعاً) أرجو أن تختصر.. لدي سؤال آخر.. ألا ترى أنك تقترب من فان كوخ في مواضيعك؟

الممثل١: صحيح.. إنني أقترب من فان كوخ لكنني أعود لأبتعد عنه.. نقترب في الموضوع أحياناً كما في لوحة «الكادحون والزهور» ولكننا نختلف أحياناً في

المضمون ودوماً في الشكل إلا في بدايته، أغوص في الأعماق أحياناً، وأبقى على السطح إلى حد ما ليغوص في الأعماق، إن اقترابي وابتعادي في الفن من فان كوخ كما في التجربة الحياتية، ومن الطبيعي أن تعاطفي مع بروغيل، ميليه، فان كوخ وموديلياني هو كتعاطفي مع كل إنسان عبقري أو مع كل إنسان بائس، وإن اختلفت قيم هذا التعاطف ودرجاته.. عفواً.. هل يمكنني أن أشرب؟

الممثل٢: طبعاً، طبعاً، خذ راحتك.. أنت.. فنان..

الممثل١: هل تريد ماء.. شاياً.. قهوة أم شيئاً آخر؟

الممثل٢: أريد الحقيقة.. حقيقتك.. وأن أكشف للقراء وجمهور الفن.

الممثل١: تكشف؟.. أنت.. أتيت إلى هنا لتكشف؟ هل تعرف أين الباب؟ هل تتقن إغلاقه من الجهة الثانية؟.. يكشف... هل تعلم أنني صحفي أكثر منك في الصحافة؟.. وناقد... و... ماذا أقول.. لا سامحك الله.. وكما قيل... قبح الله وجهك... أنت.. أنت.. ببساطة خنزير، لا.. أنت.. لا أريد... أنتم.. أنا أعمل... أنا أصنع فناً.. أنتم لا ترون.. لا تريدون.. هذه ليست صحافة.. ولا هذا نقد... ولا أنتم.. ولا أنا... ولا نحن..

(خلال المقطع الأخير يختفي الممثل٢ وتبقى العلاقات، الممثل يتوجه إليها ثم وعبر كلامه يجردها من /الماسك/ القناع، ومن ملابسها.. ويقف مذهولاً وهو

يحمل رداء وقناع إحداها... يبتسم ويلقي بها جانباً، من الأرضية يأخذ رقعة الألوان وفرشاة ويتوجه إلى العلاقة (الهيكل)... يبدأ الرسم وهمياً، ثم يتحول إلى رزمة من الأوراق ليضع عليها رسوماً تخطيطية، تتصاعد حركته لتصبح أكثر انفعالاً، من بعيد يظهر صوت مسجل لناقد تتخلل كلماته بعض المصطلحات بالإيطالية):

الصوت: «إنه فنان رزين صاحب ضمير لم يترك نفسه تغتر بالمظاهر الفنية الخفيفة المفتعلة، لوحاته تبدو وكأنها ثمرة لمحاولات صعبة ولدراسات وعمل متواصل، ولكنها لم تكن أبداً نتيجة عمليات عقلية باردة جافة، إنما نتيجة لرغبة ملحة تنبع من داخله منطلقة تنبض بالحياة والشاعرية.» «إنه»(*) لم يقطع جسور الحاضر بالماضي، استفاد من خبرة الماضي وصاغها بقالب جديد... مع تجديد في معالجة الخط واللون والتركيب، يهتم جداً بإظهار الإنسان في مظاهره الأكثر حساسية والأكثر شاعرية في إطار حزين. باوبو إميليو بوتشيني (إيطاليا).

(تنخفض الإضاءة تدريجياً بينما الممثل١ يرسم وهو يستبدل الأوراق بحركة محمومة ودون أن يخفف من تركيزه وكأنه لا يسمع ولا يرى ما حوله... تدريجياً يسود الظلام..).

(*) في الأصل كانت الجملة على النحو التالي: «الكيالي لم يقطع...»

اللوحة الرابعة عشرة

(من الظلام، وأمام شاشة السلايدات؛ يقف الممثل١ بوضعية لوحة «في سبيل القضية ١٩٦٧» رجل يضع يديه المتضخمتين على فمه والذعر مرتسم على عينيه. تظهر اللوحة على شاشة السلايد.. تتتالى وضعيات الفنان التي تسبق ظهور السلايد وجميعها تنقل «شرطياً» وضعيات أبطال لوحات معرض «في سبيل القضية» الذي تحدث عن مأساة الشعب الفلسطيني قبل وقوع نكسة حزيران... يختفي الممثل١ وعلى الفور يظهر الممثل٢ وقد وضع قناعاً، ينظر إلى إحدى اللوحات ويقفز متراجعاً وكأنه أصيب بذعر مفاجئ...)

الممثل٢: ما هذه السوداوية... ما هذا التشاؤم... يجب أن يكون الفن متفائلاً..

(يمضي مسرعاً ليخرج من الخشبة، في هذه الأثناء يظهر سلايد آخر وعلى الفور تظهر الممثلة وقد وضعت قناعاً، تتحرك مسرعة.. تتلمس اللوحة.. وتقول بلكنة خاصة وبتعبير مستاء).

الممثلة: فحم.. سواد... هباب.. (تبصق) يريد أن يزاود علينا الآن سياسياً بعد أن زاود فنياً؟

(تمضي لتخرج من الخشبة فيظهر سلايد آخر وعلى إثره يظهر الممثل٢ الذي ما أن يشاهد اللوحة حتى يضرب كفاً بكف ثم يقول بغضب):

الممثل٢: لقد تجاوز حدوده... لا يمكن السكوت على هذا.. إنه يحبط الجماهير ويزرع اليأس في النفوس... إنه ليس فقط لا يتقن الرسم ولا التلوين، بل ولا يتقن قراءة المستقبل... إنه... إنه... مجنون... نعم هذا بالضبط ما يمكن قوله بعد مشاهدة هذا الهراء السوداوي... مجنون، متشائم ويجب الحجر عليه... حجره... إبعاده عن المجتمع... إقصاؤه عن التأثير على الجماهير... لا شك أنه مجنون... بالتأكيد هو مجنون...

(فجأة يسمع صوت طيران حربي ثم صوت موسيقى عسكرية، يسود الظلام ثم تظهر لوحة «إلى متى؟» وصوت المذيع يعلن بدء حرب الخامس من حزيران عام ١٩٦٧)

صوت المذيع: .. في تمام الساعة التاسعة من صباح اليوم الخامس من حزيران عام ألف وتسعمائة وسبع وستين قام طيران العدو الصهيوني بمهاجمة...

(يبتعد الصوت تدريجياً وتخفت الموسيقى وللحظة يبقى السلايد ثم يختفي ليسود الظلام الخشبة).

اللوحة الخامسة عشرة

(في الظلام يركض الممثل١، أضواء خافتة تشبه أضواء الشموع، صوت الراديو يصدح بأغنية وطنية، يقترب من حبل نشر عبر الخشبة، وقد علقت عليه أقمشة بيضاء مختلفة، [شرشف، منشفة، منديل أبيض صغير] الممثل يجلب مجموعة من اللوحات ويجمعها، يلقيها بعنف وقسوة في مجموعة وكأنها مهملات... تتوقف الأغنية ويسمع صوت المذيع يتحدث بوقار حزين).

المذيع: ... بلاغ من القيادة العامة للجيش والقوات المسلحة... أعلن ناطق عسكري ما يلي:....

(يندفع الممثل١ إلى منطقة مظلمة ويسمع صوت تحطم ويسود الصمت، يظهر الممثل١ ويتوجه إلى حيث الحبل، ينظر إليه بدهشة وحيرة، يتلفت حول نفسه ويصرخ):

الممثل: زينب... زينب...

(تظهر الممثلة، إنها تبكي وهي تحمل لفة قماشية "بقجة")

الممثلة : نعم سيدي... أتريد شيئاً؟

الممثل ١: لماذا؟... ما هذا؟

(يمسك بحبل الغسيل ويهزه بعنف)

الممثلة : غسيل .. يا سيدي.

الممثل ١: غسيل؟ ومنذ متى كان غسيلي كله أبيض؟ ولماذا اليوم بالذات؟ لم راية الاستسلام هذه؟... أجيبيني... من قال لك انشري غسيلاً جافاً؟ من سمح لك؟.. أجيبيني!

(يبدأ الممثل١ بإزالة القطع القماشية البيضاء عن الحبال، يتصاعد غضبه مع تصاعد المشهد).

الممثلة : الجيران.. الجميع.. يا سيدي أخاف عليك من طيران العدو.

الممثل ١: طيران العدو؟ لماذا لا يأتي؟ لماذا لا يستهدفني ولوحاتي؟ لماذا لا يستهدف معرضي؟.. (يصرخ) أيها الأنذال.. تعالوا.. اقصفوا.. أنا من رسم معرض «في سبيل القضية».. أنا.. عدوكم الذي تستبيحون أرضه وسماءه؛ فيرسم.. تنتصرون عليه، فيرسم.. ثم يرسم.. ثم.. (ينظر حوله بدهشة) ثم ماذا؟ (لزينب) لماذا أنت هنا.. اهربي.. خسرنا الحرب... اهربوا جميعاً.. هيا..

(تنسحب زينب خائفة بعد أن حاولت أن تقدم للممثل١ علبة الدواء وكأس الماء، ولكنه في فورة غضبه يضرب يدها فيتساقط كل شيء، يقول بهدوء غاضب):

الممثل ١: ثم.. أنا.. من سيحرق.. المعرض.. بأكمله... ثمانية... وعشرون لوحة زيتية.. سيشتعل التربنتين فيها جيداً... فتحترق... سأتلفها.. افرحوا.. لم تنتصروا فقط على وطني.. بل انتصرتم علي... على لوحاتي... لن يراها أحد بعد الآن... وهذه أيضاً.. وهذه... التي.. أخذت الكثير.. لا يهم الفن.. يهزم الفن.. يندحر...

(في هذه الأثناء يقوم بتمزيق اللوحات والرسوم، بيديه، أو بأداة حادة... تدريجياً تنخفض الإضاءة ويبدأ الممثل ١ بالبكاء بنشيج يحاول إخفاءه).

الممثل ١: برقية... يجب إرسال برقية.. لمن أرسل؟ لمن أشكو أو أشتم أو... آه... سأرسل لمن نُصب رئيساً للعالم.. السيد السكرتير العام لهيئة الأمم المتحدة.. تحية طيبة.. طيبة؟

(يتابع التمزيق والدموع تنهمر من عينيه، يمسحها بصفحة يده)

أستنكر العدوان الإسرائيلي الوحشي على شعبنا الفلسطيني.. أطالب.. برفع الطغيان الغاشم وأطالب بإعادة حقوق الشعب العربي الفلسطيني.. أطالب.. أستنكر... وأشجب.. نطالب.. نستنكر.. نرفض.. نطالب.. نستنكر.

(يمزق أخر رسومه وتنخفض الإضاءة وهو في حالة هستيرية والدموع تنهمر من عينيه.. يتمتم بعد لحظة صمت وقد أحنى رأسه بحركة مستسلمة).

الممثل١: حرب حزيران انتهت
كأن شيئاً لم يكن
لم تختلف أمامنا الوجوه والعيون
محاكم التفتيش عادت.. والمفتشون
والدونكشوتيون.. ما زالوا يشخصون
والناس من صعوبة البكاء يضحكون
ونحن قانعون
بالحرب قانعون.. والسلم قانعون
بالحر قانعون.. والبرد قانعون
بالعقم قانعون.. والنسل قانعون
بكل ما في لوحنا المحفوظ في السماء، قانعون..
وكل ما نملك أن نقوله:
«إنا لله وإنا إليه لراجعون»
(ينهض الممثل١، ينظر حوله، يمسح الدموع من عينيه بظاهر كفه، يبتسم بسخرية ويمضي ببطء وقد بدا متعباً يشبه العجوز.. يتابع تمتمته ويخرج من سواد الظلام على الخشبة وصوته يصدح):
احترق المسرح من أركانه
ولم يمت - بعد - الممثلون.. (*)

(*) من قصيدة «الممثلون» للشاعر نزار قباني، ١٩٦٨، منشورات نزار قباني، بيروت، ص ٢٤.

اللوحة السادسة عشرة

(من الإظلام يبدو الممثل١ وقد جلس ضمن بقعة الضوء على الكنبة، إنه يرتدي معطفاً منزلياً قديماً من الجوخ ويجلس محدقاً في بقعة واحدة، يشعل لفافة تبغ ويسعل، يشيح بيده ليبعد الدخان، يخرج من جيب معطفه علبة دواء، يفتحها ويضع على كف يده حبة منها، يتناول الكأس التي على الطاولة ولكن يبدو أنها فارغة... يسمع من الداخل صوت أوان مطبخية، يلتفت ويهم بالنداء):

الممثل١: يا.. ماذا كان اسمها؟!

(يهم بالنهوض ولكن الممثلة تظهر بملابس شغالة متواضعة، تجفف يديها بقطعة قماش، ما أن تدخل حتى تبدأ بالتلويح بقطعة القماش لتزيل الدخان، تتوجه إلى حيث يفترض وجود نافذة، يسمع صوت فتح النافذة ويغمر ضوء النهار المكان مما يجعل الممثل١ يغطي عينيه).

الممثلة : أوف... ما هذا؟ لعن الله التبغ ودخانه... ستختنق..

الممثل١: آه تذكرت.. أرجوك اجلبي لي ماء يا زينب، أريد أن أتناول دوائي..

الممثلة: والأدوية تكثر منها.. ما بك يا سيدي.. أنت تدفن نفسك في الحياة..

الممثل ١: بل أدفن الحياة في نفسي.. كم عمرك يا زينب؟

الممثلة: لماذا تسأل؟.. قلت لك أكثر من مرة: خمس وثلاثون.

الممثل ١: نعم.. أنت من جيلي، يا لنا من جيل.. تولد همومنا قبل أن نولد وتبقى أحزاننا وإحباطاتنا بعد أن نموت..

(في هذه الأثناء تخرج الممثلة وتجلب كأس ماء تقدمه للممثل ١)

الممثلة : لا أحب هذه العقاقير التي تتناولها.. أتصورها سموماً تأخذها بإرادتك..

الممثل ١: وأنا لا أحبها... ولكن.. قولي يا زينب..

الممثلة : بل أنت قل لي.. لماذا لا تتزوج ؟ ما زلت شاباً وأنت معروف في البلد، وعندك بيت وعمل..

الممثل ١: كل هذا وهم يا زينب..

الممثلة : لا تغير الموضوع يا سيدي.. أنت بحاجة لامرأة وكثيرات يتمنين إسعادك..

(الممثل١ ينهض ويبدو وكأنه لا يعرف إلى أين يمضي، ينظر حوله، يسمع صوت بكاء رضيع، ينتبه وقد سيطر عليه فزع مفاجئ، ولكنه سرعان ما يهدأ، زينب ترتب المكان).

الممثل ١: هذا صوت ابنك؟

الممثلة : لا تؤاخذني يا سيدي.. عادة لا يبكي ولكني جلبته معي لأنني لم أجد من أضعه لديه، فأخوته صغار..

الممثل١: هل يكفيك ما تتلقين لإعالة أولادك؟

الممثلة : مستورة والحمد لله.. بعد وفاة المرحوم زوجي..

الممثل١: اجلبي الصغير.. بسرعة..

(فجأة يدير الممثل حامل اللوحة، يبعد الكنبة ويلقي بمعطفه المنزلي على الأرض تحت الإضاءة مباشرة، زينب تطيع وقد أصابها بعض الذعر، تجلب ابنها الرضيع، يمسكها الممثل١ من كتفيها ويجلسها حيث وضع المعطف على الأرض، تطيع بخوف).

الممثل١: أرجوك، لا تفزعي.. أريد أن أرسمك، سأسمي اللوحة «أمومة»، كثيرون هم الفنانون الذين رسموا الأمومة وأود أن أفعل بدوري.. أرضعيه ولا تخجلي مني... أنت الآن موضوع..

الممثلة : موضوع؟ أنا موضوع؟

(الممثل١ يبدأ بالرسم بشكل محموم، يبدو أن زينب تهدأ وهي تناغي ابنها الذي سكت عن البكاء، فجأة يبتعد الممثل١ عن حامل اللوحات ويجلس قبالتها وهو يبتسم بوداعة).

الممثلة : ما بك يا سيدي... ألا تريد أن ترسمني؟

الممثل١: هل تتزوجنني يا زينب؟

الممثلة: أنا؟ أتزوجك؟.. أنا خادمة، وأرملة.. وأم لثلاثة أولاد.. بكلمة: مصيبة.

الممثل١: لا أعلم يا زينب من منا مصيبة أكثر، أشعر أنني مصيبة المصائب.

الممثلة : ألن ترسم؟ لقد نام وأستطيع العودة لعملي.

الممثل١: كل من يفكر بما يجري حولنا ومعنا يصبح مصيبة مجسدة.. مأساة.. كتلة ألم.. يمكنك المضي.. لا أستطيع.. لن أتابع الرسم..

الممثلة : ما بك يا سيدي؟ أنت ممتقع.. وشفتك ترتجف.. كأنك..

الممثل١: اذهبي.. دعيني وحدي..

الممثلة : ولكن يا..

(يلتفت الممثل١ إليها وينظر نظرة غاضبة فتنسحب وقد طأطأت رأسها، يلتفت ويلقي ما بيده إلى طاولة معدات الرسم، تنخفض الإضاءة لتبقى مسلطة عليه وعلى حامل اللوحات الذي ظهرت عليه خطوط رئيسية للوحة «أمومة» رسمت بالفحم.. يضع يده على اللوحة وكأنه يتلمسها ويبدأ ببكاء صامت، تفتح أصابعه وفي حركة من يحاول أن يخمش يمرر يده على اللوحة غير المكتملة وكتفاه يهتزان وصوت نشيجه يرتفع.. يختفي السلايد وتبقى اللوحة بيضاء لثوان ثم.. يسود الظلام).

اللوحة السابعة عشرة

(من الظلام تظهر شاشة السلايد وهي بيضاء، يظهر الممثل١، يقترب ليصبح أمام الشاشة بحيث لا يظهر إلا ظله، يرفع يده بحركة وكأنه يريد أن يرسم، تظلم الشاشة، تضاء مجدداً وهي بيضاء فارغة، يرفع يده المترددة مجدداً ولكنها تظلم ثانية... وهكذا عدة مرات حتى يسود الظلام لعدة لحظات، بعدها تسطع الأضواء باهرة ومن بينها الشاشة البيضاء، في كل مكان يسود اللون الأبيض، فالكنبة مغطاة بغطاء أبيض، وكذلك الطاولة الصغيرة، وعلى حامل اللوحات، لوحة بيضاء وحتى الأواني المستخدمة فإنها جميعها بيضاء ناصعة، الممثل١ فقط يحيط جسده ببطانية رمادية اللون مع أنه يحمل بيده مبسماً للسجائر وفيه سيجارة وكلاهما أبيض اللون..)

الممثل١: أين الكبريت؟ أين النار؟ هل يبحث مثلي عن نار؟ أين «القداحة»؟ النار؟ أنا الذي يلتهب داخله! تفاهة... أنا مطفأ كجذع فوجئ متلبساً وهو يطفو.. على سطح

مستنقع... عوقبت على ذلك بالإهمال... لا تشتعل فالإهمال يطفئ كل نار... أيضاً تفاهة.. أنا لا أعاني من الإهمال.. هنالك ما هو أسوأ... أطفو على سطح مستنقع... حمدا لله أنه لا رائحة له.. أم أنني لا أتشممها؟

(يلتفت فيلاحظ اللوحة البيضاء على حامل اللوحات، يشيح عنها بعصبية، ثم يقترب منها وكأنه يتسلل، ينظر إلى اللوحة فجأة ويقهقه، يجمع قبضته ويهم بضرب اللوحة ولكن يده تنفرد وتتراخى ما أن تصل إلى سطح اللوحة، يتلمسها وكأنه يرسم شخصية ما، يسمع سعال رجل، يدخل الممثل٢ وعلى الفور يصرخ):

الممثل٢: عظيم ترسم؟

الممثل١: لا.. لا.. أبداً.. أنت تعلم أنني قطعت عهداً على نفسي بألا أرسم أبداً.

(يبتعد الممثل١ عن حامل اللوحات بعصبية، الممثل٢ وقد مد يده ليصافح الممثل١، لكن الأخير لا ينتبه، يجلس وكأنه تقوقع على نفسه، يشعل سيجارة، الممثل٢ يجلس مقابله على كرسي ويحدق به).

الممثل٢: كيف الحال الآن؟ ألا تشعر بتحسن؟!

(الممثل١ لا يرد، بل يتمتم بكلمات مبهمة، وكأنه يحدث نفسه، يتابع الممثل٢ حديثه بهدوء...)

الممثل٢: اتصل بي الدكتور علاء من بيروت، يود الاطمئنان على أحوالك.. يقول..

الممثل ١: هل قلت شيئاً؟

الممثل ٢: أقول إن الدكتور علاء يرسل لك تحياته ويود لو تزوره خلال الأسبوع القادم في بيروت.

الممثل ١: الدكتور علاء؟ في بيروت؟

الممثل ٢: تذهب إلى بيروت.. سأرافقك إذا وددت ذلك..

الممثل ١: وأختي معنا؟

الممثل ٢: سنأخذها والأولاد كذلك..

الممثل ١: الأولاد؟ .. حسن.. اذهبوا إلى بيروت..

الممثل ٢: ستذهب معنا.

الممثل ١: لا أريد رؤية البحر.

الممثل ٢: كنت أظن أنك تعشقه.

الممثل ١: يذكرني بفينيسيا.. التي أعشق..

الممثل ٢: نذهب غداً؟

الممثل ١: نذهب... لا..

(ينهض الممثل٢ ولكن الكلمة الأخيرة تجعله يجلس مجدداً)

الممثل ٢: لماذا؟

الممثل ١: لا.. لا تظن أنني مريض... أنا مرهق... أشعر وكأن جبلاً فوق صدري، فوق رأسي.. فوق يدي... عشرات اللوحات أرسمها بالأبيض والرمادي والأسود... أرسمها هنا.. في رأسي.. لا أستطيع نقلها إلى اللوحة.. هذه اللعينة مصرة على أن تبقى بيضاء..

(يقف ويضرب على اللوحة البيضاء، ينهض الممثل٢ ويمسك بكتفيه في محاولة لتهدئته.. الممثل١ يدفع يديه عنه ويعود ليجلس. يشعل لفافة ثانية بيدين مرتعشتين ويقول بهدوء وقوة).

الممثل١: جميع الوجوه التي تتراءى لي حزينة، لا تبكي، لا تصرخ.. بل تحزن تصمت..

الممثل٢: أنت تدخن كثيراً.. هل تريد أن تشرب شيئاً؟

الممثل١: لا.. شكراً...

الممثل٢: أرجوك... خفف التدخين..

الممثل١: حسن.. سأفعل ذلك يوماً..

الممثل٢: تنتظرنا في السادسة صباحاً؟

الممثل١: كما تريد..

الممثل٢: سأذهب الآن..

الممثل١: اسمع.. جميل ما كتبته.

الممثل٢: قرأته؟

الممثل١: قرأته..

الممثل٢: شكراً لك.. سأذهب الآن..

الممثل١: تحياتي لأختي... وللأولاد..

(يخرج الممثل٢ في حين يجلس الممثل١، يحدق باللوحة البيضاء الفارغة، يبدأ بالانكماش على نفسه ويتعالى نشيجه مع انخفاض تدريجي بالإضاءة باستثناء اللوحة البيضاء التي تبقى كذلك لعدة ثوان ثم يسود الظلام).

اللوحة الثامنة عشرة

(بعد لحظة صمت يضاء حامل اللوحات وعليه لوحة بيضاء فارغة، يظهر الممثل١ وهو يرتدي ثياباً منزلية، يبدو متعباً، إنه يدخن، يكح، ينتقل من زاوية إلى أخرى، ثم يجلس مقابل اللوحة الفارغة، ينهض ليمسك بالفرشاة ورقعة الألوان، يجلس مجدداً، يضع رأسه بين يديه، ينهض فجأة، يقترب من اللوحة، يرمي بالفرشاة والألوان، يشعل لفافة ويقف أمام الحامل، يلتفت إليه، يبتعد وكأنه يخاف من شيء شاهده في اللوحة، يمشي بعصبية وهو يتمتم بشيء، يمد يده باتجاه اللوحة، يقترب منها وكأنها تجذبه، يتراجع وقد أخفض يده... يجلس على الكنبة، يتقوقع على نفسه بشكل بطيء وتدريجي وهو يتمتم):

الممثل١: لا أستطيع... لا أرغب... لا... لا أريد... لن أرسم... لن أمسك بقلم أو بفرشاة... لن أرسم بعد الآن...

(يسود الظلام)

اللوحة التاسعة عشرة

(من الإظلام تظهر الطاولة في المقهى، الممثل١ يجلس وأمامه أكثر من فنجان قهوة وكذلك بعض كؤوس الشاي، بعضها فارغ والبعض الآخر فيه القليل من الشاي... على الطاولة مجموعة من الصحف وكذلك مجموعة من الرسائل... يرن جرس الهاتف، يسمع صوت الممثل٢ وهو يجيب بصوت مرتفع ليطغى على صوت أغنية تصدح من الراديو).

الممثل٢: نعم... مقهى القصر... لا أعرف... سأرى إن كان موجوداً.. لحظة...

(يظهر الممثل٢ وهو يحمل جهاز هاتف قديم أسود، يغطي السماعة بيده ويقترب من الممثل١ الذي يشير بيده دون أن ينظر إلى الممثل٢، الإشارة تعني «لا أريد...» يتابع الممثل٢ كلامه على الهاتف وهو يهز برأسه أسفاً ويحدق بالممثل١)

الممثل٢: غير موجود... نعم بالطبع سيأتي.. ماذا؟... سأنقل له طبعاً.. لا تقلق.. بالبريد... على عنواننا ستصله حتماً... مع السلامة...

(يغلق الممثل٢ السماعة ويضع الهاتف على الطاولة ويجلس)

الممثل٢: يشكرونك... من الاتحاد النسائي على الهدية.. هل أهديتهم لوحتين؟

الممثل١: أهديتهم...

الممثل٢: سيرسلون شكراً خطياً..

الممثل١: شيء مؤسف...

الممثل٢: مؤسف أن يشكروك على هدية؟

الممثل٢: نعم؟... لا... معذرة... من المؤسف أن يهدر الإنسان حياته من أجل لا شيء...

(يجمع الممثل٢ بعض الكؤوس والفناجين، يدفع بالرسائل إلى أمام الممثل١ ويمضي، الممثل١ لا يمس الرسائل بل يحدق أمامه بهدوء وهو يشعل لفافة تبغ، يرن الهاتف مجدداً ولكن الممثل١ لا يرفع السماعة، يأتي الممثل٢ مهرولاً، يرفع السماعة وهو ينظر إلى الممثل١ نظرة لائمة).

الممثل٢: ألو نعم... نعم مقهى القصر... أهلاً بك... عرفتك بالطبع يا دكتور... سأرى إن كان موجوداً.

(يرفع الممثل١ يده ليأخذ السماعة دون أن ينظر إلى الممثل٢ الذي راح يتساءل بحركة من يده)

الممثل١: ألو... أهلاً... نعم... علمت... أخبروني إنني أحلت على التقاعد لأسباب صحية... الراتب؟ لحظة...

(يخرج ورقة من جيبه ويقرأ فيها، في هذه الأثناء يمضي الممثل٢ وقد أخذ ما تبقى).

الراتب ١٤٢,٥٠ مائة واثنتان وأربعون ليرة ونصف ... نعم... لا بأس، أحاول أن أتماسك... لا... لا أرسم ... اسمع... ما هي أخبار أختي؟ والأولاد... لا... لا أستطيع القدوم... أريد أن أطلب منك طلباً... أرجوك مزق التصميم الأولي المهدى مني إليكم... نعم.. عدني بأن تمزقه... لا أريد أي أثر مما فعلت آنذاك... أرجوك... نذهب إلى بيروت... لا مانع.. سأشارك بمعارض نقابة الفنون الجميلة..

شكراً على اتصالك... لا أعتقد أنني أستطيع تجهيز معرض...لا... لا... حسن...

(يضع السماعة ويتابع جملته وقد بدا عصبياً، يتابع جملته).

الممثل١ : إلى اللقاء...

(ينظر إلى الرسائل يبدأ بتفحصها تباعاً وهو يتمتم).

نقابة الفنون الجميلة، كلية الفنون الجميلة، صالة الفن الحديث، ماريو، البروفيسور كالفاني، الدكتور علاء، هالة، أختي، أختي، النقابة، ديوان مجلس الشعب، المركز الثقافي العربي، أختي، جاليري ون...، الوزارة، النقابة...

(تدريجياً يسود الظلام ويبدو الإرهاق على صوت الممثل١ وكأنه يبتعد...).

اللوحة العشرون

(الطاولة في مقدمة الخشبة وعلى جانبيها جلس الممثل٢ والممثلة، يبدو أن نقاشاً محتدماً بينهما)

الممثل٢: ومع ذلك... إنه دعي... وما أن حصل على قليل من النجاح لم يحتمله عقله.. فأصيب بالجنون.

الممثلة : عن أي جنون تتحدث.. يا زميل... فان غوخ.. موديلياني... وقبلهما دافنشي... بوش... كلهم اتهموا بالجنون... الآن البشرية تفخر...

الممثل٢: (مقاطعاً) وضعت يدك على الجرح... قلت لك إنه دعي وسخيف وسطحي، لا علاقة له بالفن... إنه يقلد كل هؤلاء الذين ذكرت... يقلدهم حتى بالجنون وقد نسي أنهم...

الممثلة : أرجوك... لا يجوز أن نتحدث عن زميل فنان بهذه الطريقة... على الأقل لا أريد أن أشارك بحديث كهذا...

الممثل٢: حسن، لنكن أكثر هدوء!... ما هذه الضجة التي تثار حول شخص أصيب بالجنون؟

الممثلة : إنني لا أوافق على أسلوب طرح السؤال... فهو ليس شخصاً بل فنان متميز.

الممثل٢: ما الذي يجعله متميزاً يا إلهي... مثل هؤلاء مرميون على أرصفة أوروبا.

الممثلة: بالضبط... قد يكون أمثاله مرميين على الأرصفة في أوربا... أما عندنا فيجب أن تكون له قيمته لأنه أثر بقوة على الحركة الفنية.

الممثل٢: بم أثر؟ أكاد أجن... قولي يا زميلة.. ما الذي أثر به على الحركة الفنية... أريد أن أفهم.

الممثلة: (بهدوء) هذه بسيطة.. لقد أدخل دماً جديداً، ونقل خبرة مرتبطة بتقنية مدروسة، تتلاءم مع مفهوم ارتباط الشكل بالمضمون.

الممثل٢: يا إلهي... أنت تبالغين... هذا الكلام لا يمكن قوله إلا... عن... عن...

الممثلة: عنه... يمكن أن نقول هذا الكلام عنه... وفوقها استطاع أن يعطي المقياس السليم بأن ليس كل انحراف عن الواقعية هو الفن الحديث(*)

الممثل٢: وماذا فعل أيضاً؟

(*) من كتاب «لؤي كيالي» للفنان ممدوح قشلان، إصدار نقابة الفنون الجميلة -٢-، سلسلة المطبوعات الفنية، ١٩٧٤، ص٢٢.

الممثلة : أنت تتهكم ولكني مؤمنة بما أقول تماماً... لقد أفهمنا أن النقل الأعمى للتيارات المعاصرة (باسم المعاصرة) ليس هو الفن الصحيح..

الممثل٢: لا تؤاخذيني... لا أستطيع إلا أن أؤكد اختلافنا التام حول أهميته، وأنا... سأحاول جهدي منع أمثال هؤلاء من التأثير ليس على حركتنا الفنية بل على زملاء لنا من الفنانين..

(تخفت الإضاءة ويبتعد صوتهما ويصبحان وكأنهما ظلين يتناقشان بالأيدي وبالضرب على الطاولة، ترتفع إضاءة أمام لوحة فارغة بيضاء على حامل اللوحات إلى جانبهما يقف الممثل١ وقد أسند رأسه إلى عمود الحامل، يتمتم بهدوء ولكن بصوت متصاعد في قوته):

الممثل١: لست أدري ماذا يقول الشاعر؟

وهو يمشي في غابة من خناجر

أطلقوا نارهم على المتنبي

وأراقوا دماء مجنون عامر

لو كتبنا يوماً رسالة حب

شنقونا على بياض الدفاتر

(يرفع الممثل١ رأسه ، يأخذ معطفاً أبيض نظيفاً ويرتديه... يتناول قلم الفحم ويقف مقابل اللوحة ويخط خطاً قوياً منحنياً على صفحة اللوحة البيضاء وهو يتابع قراءة القصيدة عن ظهر قلب وبقوة..)

الممثل١: ما بوسع السياف قطع لساني

فالمدى أزرق... وعندي أظافر(*)

(تنخفض الإضاءة تدريجياً وهو يعمل بانهماك...)

(يسود الظلام)

(*) نزار قباني، «تزوجنك أيتها الحرية»، بيروت، لبنان، قصيدة «مدخل»، ص٨.

اللوحة الواحدة والعشرون

(من الإظلام يظهر الممثل٢ وهو يرتدي ملابس صياد ومقابله يجلس الممثل١ بملابس خفيفة وهو يقوم برسم تصميمات أولية على دفتر رسم، الممثل٢ يغني أغنية من أغاني الصيادين وهو يقوم بإصلاح شبكة صيد، تأتي الممثلة وهي بملابس بسيطة، إنها تحمل راديو قديماً ضخماً تضعه بينهما).

الممثل٢: لماذا أتيت بالراديو؟

الممثلة : هس... اسمع... يتحدثون عن الأستاذ.

الممثل١: عني؟

الاثنان معاً: اسمع...

(يسمع صوت الممثل١ من الراديو مجيباً على سؤال المذيع، الممثلة تجلس وهي تستمع وتساعد زوجها بإصلاح الشباك وهما يرمقان الممثل١ نظرات إعجاب ودهشة).

صوت الممثل١: صحيح، إن الفن موقف من الحياة وإن هناك ترابطاً حيوياً بين إنتاج الفنان وسلوكيته.

صوت المذيع: (مقاطعاً) ما هو الأكثر أهمية بنظرك، تلك اللحظة التي ترى فيها أبطال لوحاتك التعساء ينهلون فقرهم، أم اللحظة التي ترسمهم بها؟

صوت الممثل: لحظة رسم هؤلاء الناس بالألوان والخطوط تضعني في موقع المسؤولية حيالهم وهذا هو الأكثر أهمية.

صوت المذيع: يقولون إنك تقترب من فان غوخ في مواضيعك!

صوت الممثل١: صحيح أنني اقتربت من فان غوخ لكنني أعود لأبتعد عنه... نقترب في الموضوع أحياناً «كالكادحين والزهور» لكننا نختلف أحياناً في الموضوع ودوما في الشكل ومن الطبيعي أن تعاطفي مع بروغيل، ميليه، فان غوخ وموديلياني هو كتعاطفي مع كل إنسان عبقري أو كل إنسان بائس، وإن اختلفت قيم هذا التعاطف ودرجاته.

صوت المذيع: أراك أحياناً في منتهى الصفاء الإنساني ملاكاً هادئاً كصباح صيفي... وأحياناً كالصقر في لياليك العاصفة... هل لك أن توضح؟

صوت الممثل١: رؤيتك لي بهذه الصورة الجميلة صحيحة وليس هناك ما يدعو إلى التوضيح، إلى التصحيح...

صوت المذيع: ما المقصود من نظافة اللون والخط... إلى درجة التساؤل، لماذا؟

صوت الممثل١: للوصول إلى منتهى الصفاء الإنساني...

صوت المذيع: إلى أي مدى تعتقد بالتصاق الفن بالسياسة أو هل من الممكن أن يخدم الفن آراء سياسية؟؟

صوت الممثل١: من الطبيعي أن يكون العمل الفني في مضمونه سياسة. وليس من الضروري أن يخدم الفن آراء سياسية؛ فالفنان أكثر بعداً في الرؤية من الساسة..

صوت المذيع: ما هي أزمتك الحقيقية التي مررت بها؟ وما هي المعاناة التي سببتها لك تلك الأيام العصيبة من حياتك كفنان؟

صوت الممثل١: أزمتي الحقيقية أكبر من أن توصف في كلمات أو تترجم في لوحات، هذا تفسير لها. أما ما هي المعاناة التي سببتها لي الأيام العصيبة تلك من حياتي كفنان فلك أن تنظر وأن تدقق وأن تلاحق لوحاتي ومدى قربها أو بعدها من الآخرين.

صوت المذيع: ما هو التوازن الذي تريد طرحه من خلال أعمالك عن البؤساء؟(*)

(خلال سماع المقابلة تنهض الممثلة وتختفي لعدة دقائق وتعود بعدها وهي تحمل صينية عليها طعام، الممثل٢ يتابع عمله وهو يهز برأسه موافقاً في حين يتابع الممثل١ الرسم، تصدح الموسيقى بعد إنتهاء المقابلة، ينهض الممثل٢ ويشير إلى الطعام):

(*) (البعث الأسبوعي)، رقم العدد ٧٨٣٦، تاريخ ١٩٨٨/١٢/١٩، ص ٦، "الفنان لؤي كيالي".

الممثل ٢: هل تمالحنا؟ تفضل.

الممثل ١: أشعر بجوع شديد... هواء البحر نافع لأمثالي وخاصة أن رائحة السمك المقلي رائعة.

الممثلة : لا تؤاخذنا.. السمك صغير الحجم.

الممثل ٢: (بخجل) السمك الكبير نبيعه...

الممثل ١: السمك الصغير أكثر لذة وأسهل أكلاً...

الممثلة : صحة وعافية... سأجلب لكما الشاي...

(يجلس الإثنان في حين تمضي الممثلة وقد أخذت الراديو معها... يبقى صوت البحر، تنخفض الإضاءة تدريجياً، يسود الظلام).

اللوحة الثانية والعشرون

(تضاء الخشبة بضوء مفاجئ، يدخل الممثل١ وهو يحمل حامل اللوحات ويضعه في الفراغ المضاء جيداً، وراءه تدخل الممثلة وهي تحمل حقيبة يد والممثل٢ وهو يحمل حقيبة سفر، يتكلم الممثل١ وعلى الفور يغادر المكان ليعود وهو يحمل علبة كرتون يضعها إلى جانب الأغراض).

الممثل١: تفضلوا... اعتبروا البيت بيتكم

الممثل٢: مبروك... ألف مبروك...

الممثلة : فرحت لك... من كل قلبي..

الممثل١: أصبحت من أصحاب الأملاك... سأفتح النوافذ فالجو خانق قليلاً..

الممثلة : (تهمس للممثل٢) يسمي هذا بيتاً؟

الممثل٢: (هامساً) لا تزعجيه... ألا ترين أنه فرح باقتنائه..

الممثلة : ولكنه كقن الدجاج... ودفع به كل ما يملك وقرض البنك أيضاً..

الممثل١: اذهبي لتري المطبخ والباب الأيمن باب الحمام... وهناك غرفة النوم...

الممثل٢: ألا تعتقد أن ثمنه مرتفع قليلاً؟

الممثل١: لم أناقش صاحبته، أعجبني فأعطيتها ما طلبت.

الممثلة : بحاجة لبعض الإصلاحات... وخاصة المطبخ والمرافق الأخرى..

الممثل١: سيتم كل شيء... سأفعل ذلك بيدي... لا يشتري أحدنا بيتاً كل يوم... وأنا في الأربعين من عمري..

الممثلة : تسعة وثلاثون... لم تبلغ الأربعين بعد..

الممثل٢: أختك لا تريد أن تزيد عمرك لكي لا يزداد عمرها..

الممثل١: (يتابع) أليس فظيعاً ألا يستطيع أحدنا شراء بيت خاص به إلا حين يبلغ الأربعين من عمره... المسيح صلب وهو في الرابعة والثلاثين..

الممثل٢: لا تفكر هكذا... المهم أنك تملك بيتاً الآن..

الممثلة : والأهم أن تبيع معرضاً آخر وتتزوج..

(يصمت الممثل١ ويبدو كأنه يفكر... يتبادل الممثل٢ والممثلة النظرات).

الممثل١: يجب أن أرسم... حين أفكر بعدد الناس الذين لا يملكون بيوتاً.. لا يملكون سقفاً يحتمون به، أشعر أنني حصلت على مالا أستحق... المشردون يجوبون أزقة العالم، ينامون على الأرصفة ويلتحفون بفقرهم وتعاساتهم، ليس في الهند أو افريقيا فقط... رأيتهم في إيطاليا... في اليونان... وهنا... في كل مكان... هل أفيهم حقهم إن قمت برسم واحد أو اثنين منهم؟ الشقاء يصبح

موضوعاً للجمال... الحزن شعور لا إنساني... وأنا أخشى أن أكذب في لوحتى... ألا أعبر عن..

(يقترب الممثل٢ والممثلة منه ويعانقانه وهما يحاولان إخراجه من وجومه).

الممثل٢: لا تفكر هكذا... أنت كفنان تقوم بواجبك وتتحمل المسؤولية تجاههم... يكفيك هذا..

الممثلة: يجب أن تفرح.. لقد نقص المشردون واحداً... ونرجو أن ينقص العزاب واحداً...

الممثل١: ليزداد عدد الأفواه الجائعة... أو الأفواه التي تغتصب لقمة الغير...

الممثل٢: لا تعجبني سوداويتك... هيا بنا... ألست جائعاً؟ أدعوك إلى المطعم لنحتفل بشراء البيت.

الممثلة: فكرة رائعة... نحن لم ندخل مطعماً منذ مدة طويلة...هيا بنا..

الممثل١: كما تريدان... رغم أني كنت متحمساً للبدء بالعمل، جلبت معي كل شيء..

الممثل٢: لن يهرب العمل منك، ابدأ منذ صباح الغد أما الآن فهيا..

الممثلة: من أجلي... دعنا نمضي إلى المطعم..

الممثل١: من أجلك... ولأني جائع... هيا بنا..

(يخرج الثلاثة ويسود الظلام بعد أن تبقى الإضاءة لثوان على حامل اللوحات الفارغ).

اللوحة الثالثة والعشرون

(يسمع صوت إلقاء حقيبة وترتفع الإضاءة، يدخل الممثل١ ويبدأ بجمع أشياء مبعثرة على الكنبة والشماعة والطاولة، وراءه يدخل الممثل٢، إنه يتابعه ويحاول تهدئة ثورته).

الممثل٢: أرجوك أن تهدأ... اسمعني فقط.

الممثل١: ماذا يريدون مني؟ أن أترك البلد؟ سأفعل ما يريدون...

الممثل٢: يا عزيزي... لا يمكن أن نعيش وأذاننا صاغية لكل ثرثار وحاسد.

الممثل١: ثرثار وحاسد؟ أنت تعرف أنه إجماع... اتفق الجميع على أنني فنان فاشل.. فنان؟ بل لا علاقة لي بالفن... ما أقوله يستدعي ثورة غاضبة، هجوماً شرساً، فظاظة ووقاحة، أنا... أنا لا أفهم سبب هجوم ذاك الصحفي على أعمالي، ولا هجوم ذاك الكاتب على لوحاتي، ولا أستطيع تفسير أقوال ذاك الرسام حول شخصي، ولا الناقد حول أخلاقي... كل شيء فيّ أصبح مباحاً لهم... وكأنني بلت في باحة دارهم أو قتلت لهم ولداً...

الممثل٢: أنت لا ترى إلا الجانب الأسود.. معرضك.. الأخير كان موفقاً للغاية، لوحاتك تباع هنا وفي العاصمة وفي بيروت.

الممثل١: ومعرض عمان؟ أنسيت ما حدث هناك؟

الممثل٢: خطأ في الاجراءات... يمكن أن يحدث هذا مع فنان غيرك..

الممثل١: ولماذا يحدث معي بالذات؟ لماذا لا يحدث إلا معي؟

الممثل٢: تريد أن تسافر لا بأس... ولكن يجب ألا تحرق الجسور..

الممثل١: وهل أبقوا على شيء؟... كلهم لا يريدونني... سأختفي... سأمضي إلى روما... سأكون هناك غريباً، مهجوراً، مغترباً، مجهولاً...

الممثل٢: (بهدوء) أعلم أنك مفرط الحساسية، وأعلم أنك أجهدت نفسك وأن هناك شيئاً من اللاعدل في علاقتهم..

الممثل١: لا عدل؟ تقول لا عدل؟... هل يريدون مني أن أموت جوعاً؟ أم أن أسجن مثل بوش؟ أم يريدون إحراقي مثل جوردانو برونو... اللاعدل يمكن أن يؤدي إلى جريمة... يمكن

الممثل٢: ألا تريد أن تقرأ مقالتي عن معرضك الأخير؟

الممثل١: أقرأ؟ وهل هذا مهم؟ دعهم هم يقرؤون.

(يهدأ فجأة ويجلس وقد انتهى من جمع الأشياء داخل الحقيبة، يجلس على حافتها)

الممثل١: أنا آسف.. أعلم أنك من القلة التي تؤمن بي وبما أفعل وبما أرسم... ولكن، يمكن لأي عاقل أن يجن لو تعرض لما أتعرض إليه... لقد بعت البيت...

الممثل٢: بعته؟ لكنك لم تسدد قرضه حتى الآن.

الممثل١: أترك لك المبلغ المتبقي.. قم أنت بتسديده عني...

الممثل٢: ألا تنوي العودة؟

الممثل١: لا... لا أظن.. مع أنني أغادر وشعور بالعار يتملكني، إنني أهرب؛ ولكن هل تعلم لماذا؟ لأنني أحلم أن أرسم، أحلم أن أعيش في مناخ أفضل وأن أعمل... لدي طاقات وأفكار ومشاعر، تصبح كلها سخيفة هنا، لا قيمة لها؛ لا أهمية... فأنا نفسي لا قيمة تذكر لي...

(ينهض ويحمل الحقيبة وينظر حوله فيرى الشال الأحمر الصوفي، يضعه حول عنقه ويشير للممثل٢ أن يمضي أمامه، ينظر مودعاً المكان ثم يمضي قائلاً):

الممثل١: لست حزيناً على بيع شقتي هذه... بقدر حزني على لوحاتي التي رسمت هنا ثم بيعت...

(يسود الظلام)

اللوحة الرابعة والعشرون

(من الظلام تصدح أغنية إيطالية شائعة في منتصف السبعينات، تتصاعد إضاءة فنرى طاولة غطيت بغطاء خمري اللون وقد قلبت الكراسي فوقه، الممثلة ترتدي ملابس عادية، بنطال جينز وكنزة صوفية، إنها تقوم بالتنظيف وتغني مع الأغنية، يسمع رنين جرس مما يوضع على أبواب البارات، دون أن تتوقف الممثلة عن العمل تقول بشيء من الفظاظة):

الممثلة : لا تدخل الهواء البارد... لم يفتح المقهى بعد، والبار أغلق قبل ساعات..

(يظهر الممثل١ وقد التفح بلفحته الحمراء القديمة ويبدو أنه يعاني من البرد فهو ينفخ على يديه، لا ينظر إليها بل يبدو عليه الخجل).

الممثل١ : المعذرة (بالإيطالية)... أردت أن أشرب القهوة... معك و... نتحدث.

الممثلة : هذا أنت؟ ادخل، ادخل... طوال الليلة الماضية وأنت صامت تحدق بي. والآن تريد أن نتحدث؟ حسن... تفضل... سأجهز القهوة في الحال.

الممثل١ : هل أساعدك؟

الممثلة : شكراً على هذا اللطف... أنزل الكراسي... ريثما أحضر القهوة...

(يبدأ الممثل١ بإنزال الكراسي بعد أن وضع دفتراً صغيراً للرسم على الطاولة في حين تختفي الممثلة)

صوت الممثلة: هل تحب القهوة بالحليب؟

الممثل١ : لا... عذراً... أشرب القهوة بلا سكر ولا حليب..

صوت الممثلة: لا أحسد معدتك... تبدو مريضاً

الممثل١ : البرد، اختلاف الطقس... الطقس الآن دافئ في بلادي رغم فصل الشتاء.

(تظهر الممثلة وهي تحمل معدات القهوة، تضعها على الطاولة وتمضي، في حين يجلس الممثل١ ويبدأ بتقليب دفتره)

صوت الممثلة: هل أنت يهودي؟

(فجأة ينهض الممثل١ لدرجة أن الكرسي يسقط وراءه، يأخذ دفتره ويعيد لفحته إلى عنقه، تظهر الممثلة وهي تحمل الماء الساخن في إبريق زجاجي)

الممثلة : ما بك؟ ماذا حدث؟

الممثل : لا شيء سأمضي.

الممثلة : والقهوة؟

الممثل١: اشربيها وحدك... وداعاً...

الممثلة : آه، فهمت... أنت معاد للسامية..

الممثل١: هراء... أنا أيضاً سامي... بمعاييركم ذاتها...

الممثلة : ما المشكلة إذن؟ ستبرد القهوة...

الممثل : المشكلة أنك تضعين المعتدي جنباً إلى جنب مع المعتدِى عليه... وتساوين بين المغتصِب والمغتصَب..

الممثلة : إذا كنت عربياً، فاهدأ... واشرب القهوة... واعلم أنني لست يهودية ولا أكن لهم حباً خاصاً... يمكن القول أنني حيادية تجاههم..

الممثل١: لست ضد اليهود... بل ضد الصهاينة.

الممثلة : بالنسبة لي لا فرق... ألن تجلس؟

(يعود الممثل١ إلى كرسيه، ولكن دون أن يضع دفتره أو ينزل لفحته، يبدأ برشف القهوة بصمت)

الممثلة : منذ البارحة وأنت تتشبث بهذا الدفتر... هل أنت رسام؟

(يهز الممثل١ رأسه إيجاباً فتمد يدها، يتردد في إعطائها الدفتر ولكنه يمتثل لها أخيراً)

الممثلة : لا تخف... لن أكون قاسية في انتقادي لرسومك.

(تفتح الدفتر، تبدأ بمشاهدة الرسوم، يبدو الاهتمام من أسلوبها في مشاهدة الرسوم ومن نظراتها المقتضبة باتجاهه... فجأة... تضع رأسها بين يديها وتتمتم):

الممثلة : يا إلهي.. ما كل هذا الحزن؟ هل هذه أنا؟.. لماذا فعلت ذلك؟ لماذا أخرجت ما بداخلي إلى الورق... أنا أملك هذا البار... وأملك الديون التي عليه... أملك زواجاً خائباً وعشيقاً مدمنا على المخدرات... كيف قرأت كل هذا؟ كيف عرفت كل هذا عني؟

الممثل : أنا آسف... لم أكن أقصد... الإساءة إليك... سأمزق...

الممثلة : (بقوة) ماذا؟ تمزقها؟ لا شك أنك مجنون.

الممثل ١: لست أول من يقول لي ذلك.

الممثلة : ومعتوه... وأبله... وأحمق... خذ... من الممكن أنك مبتز... خذ هذا كل ما لدي...

(تنهض وتأتي بالنقود من الصندوق، ترميها على الطاولة... تعود لتختفي وتجلب نقوداً معدنية).

خذ... أريد أن أحتفظ بهذه الرسوم... أريدها لي... أنتم لا تشبعون، لا أنت ولا زوجي ولا عشيقي... لم يبق لدي نقود... خذ كل شيء... فقط اترك لي هذه الرسوم... أنت أول من نظر إلي... فرآني... خذ كل شيء واترك لي حقيقتي... اتركني في هذه الرسوم.

الممثل : (يتمتم) المعذرة.. المعذرة... لا تؤاخذيني... سأترك لك الدفتر.

(يتراجع الممثل١ ويخرج، ينبئ عن ذلك صوت جرس الباب... فجأة تتنبه الممثلة إلى ذلك، تنظر حولها، تنهض وتركض باتجاه الباب، تفتحه ثم تعاود إغلاقه، تعود والدهشة تتملكها)

الممثلة : لا شك أنه مجنون... كنت سأدعوه للرقص... وممارسة الحب... وعشاء... كنت سأزيل عنه حزنه و...

(فجأة تلتفت لتقعي على ركبتيها وترسم شارة الصليب على صدرها)

الممثلة : يا أمنا التي في السماء... فليعد... إنه بحاجة إلي... كما أنا بحاجة إليه...

(يسود الظلام بينما لا تزال الموسيقى الإيطالية)

اللوحة الخامسة والعشرون

(ترتفع الإضاءة تدريجياً على طاولة المقهى المحلي الذي ظهر في مشاهد سابقة، الطاولة ذاتها وغطاؤها ذاته والإبريق المعدني والكؤوس، وراء الطاولة يجلس الممثل١، إنه مهمل الثياب، يجلس صامتاً يحدق في نقطة واحدة ثابتة، بين يديه كيس ورقي فيه رزمة ضخمة من النقود، يأتي (النادل) الممثل٢، إنه يحمل صينية عليها فنجان قهوة وكأس ماء، يضعها أمام الممثل٢ الذي يخرج من جيبه علبة معدنية صغيرة ويتناول من داخلها حبة دواء يضعها في فمه ويشرب جرعة ماء وراءها، يشعل لفافة).

الممثل٢: هل تريد شيئاً آخر؟

الممثل١: ...

الممثل٢: منذ عودتك لم تتكلم... وهذا رابع فنجان قهوة اليوم...

الممثل١: لا تخش شيئاً... سأدفع ثمن الفنجان مضاعفاً..

الممثل٢: معاذ الله أن أفكر بالنقود... المقهى بمن فيه ملك لك فقط..

الممثل١: قلت لك سأدفع مضاعفاً... أترى هذا الكيس... إنه ممتلئ بالنقود... خذها كلها... جدد مقهاك إذا أردت..

الممثل٢: اعذرني... لم أكن أقصد إزعاجك.

الممثل١: لا تصدق أن في الكيس نقود؟ انظر

(يفتح ويقلب الرزم النقدية على الطاولة، يتراجع النادل وينسحب وقد شعر أنه أخطأ، في حين يتابع الممثل١ كلامه دون انفعال)

الممثل٢: لا أحد يصدق أن مشكلتي ليست بالنقود... هذا مبلغ بسيط جاءني من غاليري واحد في بيروت.. لست بحاجة إليه.. لست بحاجة لشيء.. لا أرغب بشيء.

(تظهر الممثلة وهي في ثياب متسولة، تقترب من الطاولة، دون أن ينظر إليها يأخذ رزمة ويقدمها لها بحركة مفاجئة تصيبها بالذعر فتقفز متراجعة)

الممثلة : بسم الله الرحمن الرحيم... يا أستاذ أنا.. أقصد... أعطني مما أعطاك الله.

الممثل١: خذي... الله أعطاني... وأنا غير محتاج... خذي..

الممثلة : ليرة... أو نصف ليرة تكفي..

الممثل١: لا توجد عندي ليرة... ألا تنفع هذه الرزمة؟

الممثلة : حماك الله... وعفى عنا... لا تسخر مني يا سيدي... لست سارقة ولا محتالة، إذا لم ترغب بإعطائي قل: فليعطك الله... فقط لا تسخر..

الممثل١: لا أسخر منك... وليس معي نقود غير هذه..

الممثلة : أدام الله نعمتك عليك... وأبقى لك صحتك... لا تؤاخذني الحاجة اضطرتني للتسول ولكني لن أكررها... لا تغضب يا سيدي... الحاجة قاتلة... الوداع... لن أتسول ثانية حتى ولو مت جوعاً... الوداع يا سيدي..

(طوال مدة الحوار السابق تبقى يد الممثل١ ممدودة برزمة النقود، رغم أن الممثلة تغير مكانها... تمضي ولبرهة تبقى يده ممدودة ثم ينتبه لذلك فيلقي برزمة النقود على الطاولة ويشعل لفافة أخرى ويعود للتحديق في نقطة واحدة ثابتة، يظهر الممثل٢، الصبي بائع اليانصيب، إنه على عكازيه وقد ظهر شارباه الدقيقان):

الممثل٢: يبدو أنك ربحت جائزتين دفعة واحدة...

الممثل١: كبرت...

الممثل٢: وازدادت مشاكلي..

الممثل١: أنت أيضاً؟ لا أظن أنهم يلاحقونك الآن... أصبحت رجلاً وتستطيع أن تدافع عن نفسك..

الممثل٢: أستطيع بدوري ملاحقة الصبية... لو أردت...

الممثل١: هذه قذارة.

الممثل٢: أمزح فقط.. تزوجت وامرأتي حامل.

الممثل١: هكذا باكراً؟

الممثل٢: توفي والدي... وأمي مصابة بالسل... وسجنت إحدى أخواتي... سرقة..

الممثل ١: هل تعوضك هذه النقود.. خذ منها ما تشاء.

الممثل ٢: نفسي تأبى أخذ أي شيء دون عمل...

الممثل ١: خذ... كالدين..

الممثل ٢: الحمد لله... لا أستدين... قل لي يا سيدي ما بك؟

الممثل ١: ما بي؟

الممثل ٢: أراك متغيراً بعض الشيء... مريض لا سمح الله؟

(في هذه الأثناء يتناول الممثل١ حبة أخرى من العلبة المعدنية، يشرب الماء..)

الممثل ١: مريض... ولكن مرضي لم تسمع به، لم يسمع به أحد... مريض بوطني... مريض من اللامبالاة والإهمال والقسوة... مريض بكل ما يحيط بي وبمن يحيط بي... مريض بانعدام الرغبة، بالإحباط، باللاجدوى...

(يشعل سيجارة فيكح بشدة، يتراجع الممثل٢ ويختفي، الممثل١ يتابع كلامه وهو يكح، يعود الممثل٢ وهو يحمل كأس ماء يضعها أمام الممثل١ الذي يتناولها ويجرع منها جرعات مقتضبة)

الممثل ١: هل تعلم لماذا يختفي القمر؟ يعتقد الجميع أن ظهور الشمس تجبره على الاختفاء والحقيقة أنه يختفي لأن الناس ينامون، وبهذا ينصرفون عن النظر إليه، فيخجل ويتوارى... يعود في اليوم التالي، تحرضه على ذلك أغنية أو قول شاعر أو تنهيدة عاشقة وهي تنظر إلى

السماء... يعود وكله أمل بأن يأخذ قوته من عيون الناس ورغبتهم برؤية جماله... ولكنهم ينامون من جديد... يوماً، يختفي نهائياً... سيتعب من أمله بأن يتابع الناس التحديق به والتغني بجماله... عندها... سيختفي نهائياً... إلى الأبد...

(ينظر الممثل٢ حوله وقد أصيب بالدهشة وبشيء من الإحراج وكأنه لا يعلم ماذا يفعل تجاه تدفق كلام الممثل١ الذي يتجرع الماء وفجأة ينهض ويمشي مبتعداً وصافقاً باب المقهى بقوة، الممثل٢ ينظر إلى النقود وفي إثر الممثل١، يهرول وراءه وهو يصرخ):

الممثل٢: يا أستاذ... نقودك... نسيتها على الطاولة.... يا أستاذ... توقف، النقود... مبلغ ضخم كهذا لا يترك... يا أستاذ...

(تدريجياً تنخفض الإضاءة حتى يسود الظلام)

اللوحة السادسة والعشرون

(من الإظلام تظهر شمعة تشتعل إلى جانب سرير يستلقي عليه الممثل١، السرير يشبه أسرة المشفى ولكن غطاء أحمر يغطيه بأكمله، الإضاءة خافتة ومسلطة على السرير تحديداً، الممثل١ مستلق على ظهره وهو يتمتم فلا تظهر سوى بضع كلمات متفرقة من الكلام، يطفئ اللفافة وعلى الفور يشعل أخرى).

الممثل١: ... لنا أهمية... لنكتب مذكرات... ورسائل... أحرقتها قبل سفري... لم أستخدم اللون الأحمر يوماً... علي أن أتصل بصلاح وممدوح و... أبدل سجائري العطنة... لا قدرة لي على رسم البورتريه... أراهم أمامي الآن... معرض غاليري «عليا»... المعرض الشخصي الثالث عشر... سيكون... لن أرسم أشواكاً... لن... بل...
(يشعل سيجارة جديدة، يشرب من زجاجة ماء بعد أن وضع حبة دواء في فمه وحين يضعها على الطاولة الصغيرة التي إلى جانب السرير تسقط، يسيل منها الماء، يتابع التمتمة..):

الممثل١: «أتكوم...

على رمال نهديك... متعباً

كطفل لم ينم منذ يوم ولادته»(*)

(يرفع الزجاجة بصعوبة، يتابع التمتمة ولكن بوضوح الآن):

«لن يكون ذهابك مأساوياً

كما تتصورين...

فأنا كأشجار الصفصاف

أموت دائماً..

وأنا واقف على قدمي...» (**)

الممثل١: أجلب ماء... سأعطش خلال الليل... الموت عطشا وفي البحر؟... لم تأت زينب... الزواج والحب بعد المعرض الثالث عشر... هل بقي ماء؟

(يمد يده بوهن شديد، يحاول الإمساك بالزجاجة ولكن يده تقبض على الفراغ، يسقط الشمعة، يسود الظلام، عبر إضاءة سفلية حمراء يتصاعد دخان يتسلل رويداً، رويداً، مع تصاعد ضجيج مزعج، الدخان يرتفع حول السرير... يسود الظلام).

(*) نزار قباني «١٠٠ رسالة حب»، منشورات نزار قباني، الطبعة الثانية عشرة، آذار (مارس) ١٩٨٢، ص ٨٩ - ١٥٥.

(**) نزار قباني «١٠٠ رسالة حب»، منشورات نزار قباني، الطبعة الثانية عشرة، آذار (مارس) ١٩٨٢، ص ٨٩ - ١٥٥.

اللوحة السابعة والعشرون

(ترتفع الإضاءة تدريجياً، ما زال الدخان يلف المكان حول السرير، تقترب الممثلة وهي بثياب ممرضة، إنها تحمل منشفة تزيل الدخان بها، يظهر السرير المغطى بملاءة بيضاء وبشيء يشبه "الناموسية" بشكل هرمي فوق السرير حيث لا يظهر سوى رأس الممثل١، جهاز "السيروم" معلق فوق السرير، تقترب الممرضة من الممثل١، تقول له بحنو):

الممثلة : كيف الحال؟... أفضل؟

الممثل١ : عيناك... ج.. ميل... تان...

الممثلة : وعيناك أيضاً.

الممثل١ : م.. م.. مش... وه؟

الممثلة : لا.. ولكنك مقمر جيداً...

(تمسك بيده وكأنها تريد جس نبضه، تقفز مبتعدة وهي تصرخ...)

الممثلة : دكتور... الرسام المحروق... دكتور...

(يظهر الممثل٢ وهو يرتدي ثياب طبيب... يبدأ العمل بسرعة، يفحص النبض، يضع جهاز الضغط...)

الممثل٢: لم يمت رسام بين يدي... لن أساعدك على ذلك... هيا... أوف... عاد النبض... (ينادي) يا آنسة... يا آنسة...

(تظهر الممثلة بملابس عادية، يبدو عليها القلق)

الممثلة : طمئني يا دكتور... هل حالته خطرة؟

الممثل٢: من أنت؟ كيف دخلت إلى غرفة العناية المشددة؟

الممثلة : أنا أخته... أرجوك قل لي..

الممثل٢: لا بأس... سنرى... أرجوك... الغرفة معقمة وأنت بهذه الملابس.

الممثلة : سألقي عليه نظرة ثم أخرج

الممثل١: (يتمتم) لا تخافي... بخير... أشعر بعطش..

(في هذه الأثناء يدفع الممثل٢ الممثلة برفق ليخرجها، تخرج، يهم بالمضي؛ ولكن الممثل١ يتمتم)

الممثل١: دكتور... كيف... حدث ذلك؟

الممثل٢: كنت... تحت تأثير الدواء المهدئ... وجدت علبة منه أمام سريرك.

الممثل١: هل... سأعيش؟

(يهز الممثل٢ رأسه وكأنه يجيب على سؤال الممثل١... تدخل الممرضة، يتهامس الطبيب وإياها)

الممثل١: هل يمكن... خفض النور... عيناي...

(تندفع الممثلة لتخفض النور، يتبعها الممثل٢، تنخفض الإضاءة بحيث لم يعد يظهر سوى ظل السرير.. من

جانبي الخشبة يظهر الممثل٢ وهو بملابس بائع الفستق الحلبي الجوال، يحمل سلة وميزاناً بسلاسل، ويضع "خرجاً" قماشياً على كتفه وقد اعتمر قبعة دائرية صغيرة ولف عنقه بحطة، أما من الجهة الأخرى فتخرج "الشحاذة" التي صادفها في اللوحة الخامسة والعشرين).

الممثل١ : أتيتما؟

الممثل٢ : أنت استدعيتنا... هل تريد شراء فستق عاشوري؟

الممثل١ : آسف...لا أستطيع شراء شيء الآن... ولا أستطيع أن أرسمك رغم أنني فكرت بذلك كثيراً... حين كنت في إيطاليا..

الممثلة : وأنا... تريد أن ترسمني أيضاً؟

الممثل١ : أريد... سأدفع لك عشر ليرات لقاء وقوفك أمامي...

الممثلة : يقال أنكم لا تعرفون الله...

الممثل١ : نحن؟

الممثلة : أنتم... عليك أن تعرف أنني "شحاذة" شريفة.

الممثل١ : وأنا فنان شريف... على الأقل هكذا كنت أعتقد..

الممثلة : أحرقوك؟

الممثل١ : أحرقتهم... طهرت جسدي منهم.

(في هذه الأثناء يختفي الممثل٢ وحال انتهاء الممثلة من حوارها حتى يظهر بمظهر الناقد وقد وضع قناعاً على وجهه)

الممثلة : معك نصف ليرة؟

الممثل١: لا أعلم... قد تكون ملوثة بالهباب.. وسوداء...

الممثلة : الفضة لا يهمها الهباب... افركها بقشر الليمون فتصبح جديدة..

الممثل١: سأعطيك ليرة... أقصد... ستكون ديناً علي...

الممثلة : المهم أن يكتب لك الشفاء..

(تختفي الممثلة، الممثل٢ يمسك بكمية من الأوراق).

الممثل٢: لن تستطيع قراءة ما كتبت عنك الآن؟

الممثل١: لا أظن... وقد أحتاج لنظارة في المستقبل...

الممثل٢: أعتقد أنني موضوعي.. ولكن قد أضطر لتغيير بعض الأشياء... نظراً للظروف الراهنة...

الممثل١: تقصد حروقي؟

الممثل٢: وانقطاعك عن الرسم...

الممثل١: كم الساعة الآن؟

الممثل٢: اليوم الثالث... الساعة الخامسة والربع...

(يقول الممثل٢ ذلك ويمضي، تظهر الممثلة بثياب الممرضة، تقوم بإعطاء الممثل١ حقنة، تتمتم بتعاطف):

الممثلة : بالشفاء...

الممثل١: هل يوجد زوار؟

الممثلة: الزيارات ممنوعة تماماً... هناك الكثير من الورود في الخارج...

الممثل١: بينها ورود صفراء؟

الممثلة : أغلبها صفراء

الممثل١: كم أصبحت الساعة الآن؟

الممثلة : اليوم السادس... الساعة التاسعة صباحاً...

(تختفي الممرضة، يظهر الممثل٢ بملابس عسكرية)

الممثل٢: لم ترسمنا...

الممثل١: لم أرسمكم... عانيت من أجلكم... وأحياناً منكم...

الممثل٢: نظرات المثقفين سوداوية دوماً... لا ترى سوى الإخفاق...

الممثل١: لست مثقفاً... أنا فنان... مؤخراً كانوا ينادونني في إيطاليا "مايسترو" معلم..

الممثل٢: لو كنت معلماً لقمت بتمجيدنا..

الممثل١: لستم بحاجة لأمجاد أعطيكم إياها... إما أن تصنعوها بأنفسكم أو..

الممثل٢: اليوم التاسع عشر، والآن الساعة تجاوزت الحادية عشرة ليلاً.

الممثل١: رأسي تؤلمني... وأشعر..

(ينسحب الممثل٢ وتدخل الممثلة، إنها منظفة في المشفى، تقوم بتنظيف الغرفة).

الممثلة : تتألم يا بني؟

الممثل١: أتألم... روحي تحترق.

الممثلة : الروح لا تطفأ... كل شيء يطفأ إلا الروح.

الممثل١: آسف... أسبب لك القرف؟

الممثلة : مهنتي يا بنيّ... يقولون إنك رسام؟

الممثل١: كنت... قد أعمل دهاناً إذا نجوت..

الممثلة : كافة الأعمال خير وبركة... تريد شيئاً؟

الممثل١: ماء

الممثلة : سأستدعي الممرضة.

الممثل١: كم الساعة الآن؟

الممثلة : اليوم السابع والأربعون... الساعة السابعة صباحاً..

(تخرج الممثلة ويدخل الممثل٢ كطبيب، ينظر إلى لوحة المريض، يجري بعض الفحوص).

الممثل : ألواني... تحترق...

الممثل٢: الحالة لا تطمئن... يجب استدعاء لجنة أطباء..

الممثل١: كم مضى من وقت؟

الممثل٢: اليوم الخامس والخمسون... الساعة الرابعة والربع..

(تظهر الممثلة بثياب الممرضة، يخرج الطبيب ليعود وهو يحمل أداة طبية، تقول الممثلة ثم تخرج)

الممثلة : اليوم الثاني والسبعون... الساعة الثامنة إلا ثلث... الحرارة مرتفعة..

الممثل١: قد أرسم الغابات يوماً

الممثل٢: اليوم السابع والثمانون... منتصف الليل... الوضع مستقر..

الممثل١: سأنهي البورتريه..

(تدخل الممثلة وهي تحمل "سيروماً" جديداً تبدله، حركة الممثلة والممثل٢ الآن محمومة ومتسارعة وهما منهمكان بأعمال طبية عادية).

الممثلة : الحالة تسوء... اليوم الواحد والتسعون... الرابعة والنصف صباحاً...

الممثل١: سأرسم... أريد ألواني..

الممثل٢: يجب وضع الأوكسجين باستمرار... اليوم المائة واثنان... الثالثة بعد الظهر..

الممثلة : الضغط ينخفض بحدة... اليوم المائة وأربعة... لا يهم التوقيت..

الممثل٢: لا يهم التوقيت... اليوم المائة وخمسة..

الممثلة : اليوم المائة وستة... الحالة حرجة للغاية.

الممثل٢: اليوم المائة وسب...

(فجأة ترتفع الإضاءة بقوة... ينهض الممثل١ وهو بملابس بيضاء هي الملاءة... يقف على السرير، يتجمد الممثل٢ والممثلة في مكانهما...)

الممثل١: (بهدوء وبقوة) ألواني تحترق... لن أنقذها... لا تبقى سوى الألوان المفترشة اللوحة... ألواني تجف... تبهت... تموت... تنقرض... لم أستخدمها... لم أداعب سطح اللوحة بها... ألواني... ألواني...

(يسود الظلام وتسدل الستارة)

اللوحة السابعة والعشرون

(الاحتمال الثاني للنهاية)*

(من الإظلام يظهر إطاران فارغان والإضاءة مسلطة عليهما، تظهر الممثلة وهي بملابس مهلهلة، إنها تحمل طستا، من الجانب الآخر يظهر الممثل٢، إنه يحمل منقلاً صغيراً يتصاعد منه الدخان وعليه عدة أكواز من الذرة، يتوجه الإثنان إلى جانب الإطارين الفارغين، يظهر الممثل١ وعلى وجهه قناع وقد استبدل ملابسه بملابس عصرية، إنه يحمل أوراقاً وصوراً، ينظر إلى الإطارين الفارغين ثم يفاجأ بالممثلة والممثل٢ اللذين وقفا إلى جانبهما).

الممثل١: ماذا تفعلان هنا؟

(تسود لحظة صمت)

الممثل١: أجيباني... من أدخلكما إلى هذا المكان؟

(*) وضع الاحتمال من منطلق إنساني وفني، ويمكن دمج الاحتمالين ضمن رؤيا إخراجية معينة.

الممثلة : آ... آ... أنا...

الممثل٢: وأنا... أتيت ليرسمني..

الممثل١: يرسمك؟ مضت سنين على وفاته..

الممثل٢: من أنت؟

الممثلة : عائشة... الغسالة...

الممثل١: غسالة؟ لم أعد أسمع بغسالة ليست أوتوماتيكية..

الممثل٢: ما زالت الذرة المشوية مطلوبة.

الممثل١: تبدوان صادقين.. هذه مواضيعه... ولكن للأسف... يجب ألا تعودا إلى هنا..

الاثنان معاً: لماذا؟

الممثل١: لأنه توقف عن الرسم..

الاثنان معاً: كيف؟

الممثل١: هكذا... احترق... ومعه احترقت ألوانه..

الممثلة : الألوان تحترق أيضاً؟

الممثل٢: في زماننا كل شيء يحترق..

الممثل١: اذهبا الآن... لا تعودا إلى هنا أبداً... لم يكن لكما مكان بين صياديه وباعته وشخوصه المتألمة..

الممثل٢: ولكننا نتألم..

الممثلة : ابنتي مصابة بفقر الدم.

الممثل٢: والروماتيزم يكاد يقعدني.

الممثلة : ما أجنيه لا يكفي لشراء الخبز.

الممثل٢: والشرطة تلاحقني... وابني رسب للسنة الثالثة في الشهادة العامة وسقف بيتي نصف مهدوم..

الممثل١: كفي... أعلم كل ما تقولان... وأعلم أكثر... ولكنني لا أستطيع مساعدتكما فأنا... لست هو... أنا لا أرسم وحتى لو رسمت لما كنتما موضوعاً للوحاتي... لا حاجة لي بكما..

الاثنان معاً: ماذا نفعل إذاً؟

الممثل١: لا أعلم... قد يأتي... بعد خمسين، بعد سبعين أو مائة سنة رسام يهتم بكما... وقد لا يأتي... أمثاله قلة نادرة..

الممثل٢: تعني أنه لا توجد ألوان لنا؟

الممثلة : احترقت؟

الممثل١: لا... لم أقصد ذلك... فحريق الألوان... غير مهم تجاه... حريق الروح...

(ينتقل الممثل٢ والممثلة إلى داخل الإطار، ويقفان هنالك كما لو أنهما من لوحات الفنان... يقترب الممثل١، يمد يده ويخلع القناع، ثم يجلس القرفصاء بين الإطارين بهدوء.. حينئذ؛ تنخفض الإضاءة تدريجياً، تثبت إضاءة خافتة على اللوحتين لحين... ثم يسود الظلام).

- انتهت المسرحية -

مراجع النص الأساسية

- «لؤي كيالي»، تأليف: ممدوح قشلان، نقابة الفنانين الجميلة -٢-، سلسلة المطبوعات الفنية، ١٩٧٤.
- نشرة معرض «لؤي كيالي»، إيبلا، دمشق، تشرين الثاني ١٩٨٣.
- نشرة «فقيد الحركة الفنية التشكيلية - لؤي كيالي»، حلب، صالة المتحف الوطني، ١٩٧٩/٢/٢٠.
- صحيفة البعث، ملف البعث الأسبوعي: «الفنان لؤي كيالي»، العدد ٧٨٣٦، تاريخ ١٩٨٨/١٢/١٩، إعداد: عمار ألكسان.
- نزار قباني: الأعمال الكاملة.


الهيئة العامة
السورية للكتاب

الإعادة الثالثة للعمر

في السينما ... يمكن إعادة تصوير اللقطة أو المشهد

أو حتى الفيلم مرّات ومرّات ...

ولكن هل يمكن إعادة العمر؟!

دمشق ١٩٩٤ – ١٩٩٩

المشهد الأول

(الخشبة مظلمة، يسمع من بعيد صوت آلة عرض سينمائية، يتبعه ظهور تدريجي لصوت موسيقى أحد أفلام شارلي شابلن القديمة، يسمع صوت دحرجة شيء ثقيل على دواليب معدنية، ثم صوت مكتوم لسقوط هذا الشيء تسمع صرخات قريبة ومقتضبة متتالية)

ص. مساعدة المخرج: صمت!

صوت المخرج: صمت!

أصوات مختلفة: صمت... هدوء...صمت

ص. مساعدة المخرج: استعداد

صوت المخرج: استعداد

أصوات مختلفة: استعداد

(تسود لحظة صمت تسطع بعدها إضاءة قوية تضيء منتصف الخشبة، حيث تقبع حقيبة سفر ضخمة وضعت عليها لاصقات شركات طيران وأعلام دول مختلفة. يستمر صوت ميكانيكي لكاميرا سينمائية، فور ظهور الإضاءة تظهر مساعدة المخرج بملابس عصرية ولكنها مبالغ فيها/فستان سهرة، أو تنورة قصيرة جداً

وبلوزة تكشف أغلب الجزء الأعلى/ إنها تحمل كلاكيت مبالغاً بحجمه، تتوقف عند الحقيبة، ترفع عصا الكلاكيت وتضرب بها سطح الكلاكيت وتقول بصوت مرتفع وأجش):

مساعدة المخرج: الإعادة الثالثة للعمر، المشهد الأول، اللقطة الأولى، «العودة»

(يسمع صوت من خارج الخشبة).

صوت المخرج: ستوب... الحقيبة الثانية... أغبياء... نسيتوها

مساعدة المخرج: حالاً... حالاً مايسترو

(تنحني مساعدة المخرج وتمحو عن الكلاكيت رقم (١) لتكتب بالطبشور رقم (٢) بدلاً منه. تتدحرج حقيبة سفر ثانية، إنها أصغر حجماً من الأولى وقد علقت عليها قبعة رياضية ومظلة نسائية مغلقة، تتوقف بالقرب من الحقيبة الأولى الملقاة على الأرض تعود الممثلة للوقوف كما في المرة الأولى):

مساعدة المخرج: الإعادة الثالثة للعمر، المشهد الأول، اللقطة الأولى (العودة).

(تخرج مساعدة المخرج وهي تبالغ بأسلوب مشيها، أثناء خروجها يسود الظلام على الخشبة يسمع صوت طرق مكتوم، تفتح الحقيبة الكبيرة مصدرة صريراً خاصــاً مضخماً... تتصاعد إضاءة تحيط بموقع الحقيبتين فقط، يعاد إغلاق الحقيبة ثم تفتح مجدداً

ليظهر وجه رشا، المختبئة داخلها، يفتح الغطاء وتقف رشا، إنها فتاة في حوالي الخامسة والعشرين من عمرها، ترتدي بنطالاً وسترة جينز وقد عقدت على عنقها منديلاً حريرياً، تتمطى وتخطو خارج الحقيبة، تقوم ببعض الحركات الرياضية وكأنها تلين عظامها، ما أن تقول جملتها الأولى حتى يتلاشى الصوت الميكانيكي للكاميرا).

رشـــا : الحمد لله على السلامة... لم تكن السفرة متعبة ولا مريحة.

صوت المخرج:(يصرخ) ستوب!... ليس هذا الحوار المكتوب.

(تنظر الممثلة حولها بدهشة وكأنها تبحث عن مصدر الصوت، تبتسم وهي لا تخفي دهشتها):

رشـــا : من قال كلمة «حوار»؟

صوت المخرج: (يصرخ) ستوب... ارجعي للدور يا آنسة...

رشـــا : دور؟ حوار؟

صوت مساعدة المخرج:(بعملية) نوقف التصوير؟

صوت المخرج: (يصرخ) أوقفوا التصوير....

رشـــا : تصوير؟ من سمح لكم؟!

ص. مساعدة المخرج: ألا تريدين أن تكملي التمثيل يا آنسة؟

رشـــا: لا... لا أريد أن أكمّل التمثيل... ومن اليوم فصاعداً أنا المخرج وأنا من سيقود التصوير... مفهوم؟!

صوت المخرج:(يصرخ) ستوب! ألغوا المشهد، سننتقل للمشهد السابع فوراً... ألغوا مشاهدها... احذفوها... مزقوها من السيناريو.. أحرقوها (فجأة بهدوء) استراحة.

ص. مساعدة المخرج: (بعملية) استراحة... أطفئوا الإضاءة، اسحبوا المعدات... خذوا ثيابها إن كانت للفيلم... هيا بسرعة... خذوا كل شيء الإكسسوار، الحقائب... كل شيء...

(تنتفض رشا وتسحب المظلة لتشهرها وكأنها تدافع عن نفسها بها، تظهر مساعدة المخرج والممثل وهو بملابس عمال، يتوقف الاثنان مقابل رشا بهدوء، كأنهما يراقبان ثورة غضبها، تتابع رشا قولها بانفعال):

رشـــا : ليس لكم عندي شي... الحقائب وما بداخلها... كلها لي... ابتعدوا عني... لن أسمح لأحد أن يأخذ مني ولا شعرة... ومن اليوم فصاعداً لن يفرض أحد علي شيئاً... ولن أعطي شيئاً غصباً عني... مفهوم!؟...

(يتهامس الاثنان ويمضيان خارجين دون أية ردة فعل، ما زالت رشا متحفزة، تنتبه إلى أن الحقيبة مفتوحة، تنقض عليها وتغلقها، توقفها إلى جانب الحقيبة الأخرى، تقف أمام الحقيبتين وقد هدأت قليلاً ولكن يبدو أنها لا تدري ماذا تفعل، يدخل الممثل [ما زال بملابس العمال] إنه يدفع كنبة لها دواليب، يضعها في مكان خارج دائرة الضوء، ينظر داخل مجموعة من

الأوراق، يصحح وضع الكنبة، في هذه الأثناء تدخل مساعدة المخرج، إنها تحمل ضوءاً عمودياً [لمبدير]، تضعه بالقرب من الكنبة، في هذه الأثناء يخرج الممثل ويعود فوراً وهو يدفع طاولة عليها تلفزيون وفيديو، يضعها في العمق ويدير الجهاز قليلاً بحيث يصبح مقابل الكنبة، تأتي مساعدة المخرج بشريط كهربائي وتضع التوصيلات الكهربائية داخله، يقوم الممثل بتجريب جهازي الفيديو والتلفزيون، يظهر على الشاشة فيلم رسوم متحركة، مساعدة المخرج تجرب الضوء بإشعاله وإطفائه عدة مرات، الممثل يجلب طاولة صغيرة عليها بعض المجلات والكتب ويضعها أمام الكنبة، مساعدة المخرج تجلب إناء زهور فارغاً، تضعه فوق التلفزيون ولعبة [الدب] تضعها على الكنبة. رشا تراقب كل هذا وقد انكمشت إلى جانب حقائبها، تحاول السؤال أو الاعتراض ولكن الاثنين لا يعيرانها التفاتاً، يطفئان الضوء والأجهزة، الممثل يعانق مساعدة المخرج من خصرها ويمضيان وهما يتمتعان ويتضاحكان وسط دهشة رشا، ما أن يمضيا حتى تقترب وتشعل الضوء، فتطفأ الإضاءة المسرحية، تنظر حولها وكأنها تتعرف على المكان وتتذكره، تتمتم):

رشـــا : غرفتي... غرفتي... لم تتغير... كل شيء مثلما كان...

(يسمع صوت عجلات تتدحرج، الصوت مضخّم قليلاً، يظهر الممثل وهو يدفع مشجباً خشبياً علقت عليه بعض الملابس، يضعه مقابل الكنبة ويهم بالمضي، يقرأ في ورقة بيده ويأخذ من المشجب معطفاً رجالياً قديماً، تتدفع رشا وراءه وتصرخ، يتوقف):

رشـــا : معطف أبي... إلى أين تأخذه؟!

الممثل : غير موجود في القائمة...

(ينظر إليها لأول مرة، يتفحص المعطف بازدراء).

الممثل : عتيق ومهتري... احتفظي به إن أردت... رائحته غريبة...

(يرمي بالمعطف على الكنبة ويمضي خارجاً وهو يطلق صفيراً من فمه، تختطف رشا المعطف تتشممه وتمتم):

رشـــا : لم يتبق غير رائحة الغبار فيه ولمَ لا... الدنيا تبدأ أحياناً برائحة الغبار.

(تعلق رشا المعطف على المشجب وتجلس على حقيبتها باسترخاء وتمتم):

رشـــا : الحمد لله على السلامة... أخيراً...غرفتي... كنبتي... بيتي... بلدي... وطني... رجعت...

(تدريجياً ومع الكلمات الأخيرة يسود الظلام).

المشهد الثاني

(ترتفع الإضاءة لنجد أن الديكور لم يتغير رغم أن المكان أصبح أقرب إلى غرفة جلوس وقد أضيفت إليه بعض التفاصيل المنزلية، أصيص نبات منزلي، طاولة صغيرة عليها إبريق شاي وكأس، كرسي عليه بعض الملابس الداخلية النسائية، تظهر مساعدة المخرج، إنها ترتدي ملابس عصرية، تركض عبر الخشبة في مقدمتها، تختفي لتظهر على الفور وهي تحمل لعبة لطفل رضيع تلفه بالملاءة أثناء عودتها دون أن تتحدث مع الممثل الذي ظهر لحظة اختفائها الأول، إنه يرتدي ملابس شخصية وليد، بنطال جينز وقميص بمربعات، يمضي إلى الجهة الأخرى ويعود على الفور وهو يحمل باقة زهور فخمة وحقيبة كتف، تظهر الممثلة، إنها بنفس الملابس ولكنها تحمل الآن الكلاكيت، تضرب الممثل بالكلاكيت على مؤخرته وكأنها تداعبه، خلال هذا يسمع لغط تتخلله مصطلحات سينمائية، الممثلة تركع على الأرض وتكتب على الكلاكيت بالطبشور).

أصوات: ...لا...لا... أنت محق... علبة الخام... "اللمبة" احترقت... أين فرشاة المكياج... الإكسسوار كامل... استراحة... العدسة... رأسي تنفجر... أنا فنان... أين الكلاكيت؟

(يسمع صوت المخرج يتبعه صوت مساعدة المخرج، الصوتان أوضح من بقية الأصوات وأكثر صرامة).

صوت المخرج:جاهزون!؟...

(يسود الصمت، تدخل مساعدة المخرج، تتقدم إلى منتصف مقدمة المسرح):

صوت المخرج: أرضيت الممثلة؟!

ص. مساعدة المخرج: اعتذرت لها.

ص. المخرج: استعداد.

ص. مساعدة المخرج: (بعملية) استعداد

(ترفع الكلاكيت وتقول بصوت حاد مصطنع):

مساعدة المخرج: الإعادة الثالثة للعمر، المشهد الرابع والستون: «بحثاً عن مكان»،

(تقرع عارضة الكلاكيت وعلى الفور تخرج، تنخفض الإضاءة تدريجياً ويسود الصمت ثم الظلام).

(من الظلام تسمع صرخة ترحيب نسائية وحين ترتفع الإضاءة تظهر رشا، إنها بملابس منزلية، تستقبل منى التي تحمل رضيعاً على يديها).

رشـــا : منى... أنتِ؟

منـــى : رشا؟.. الحمد لله على سلامتك.

رشـــا : (تشير إلى الرضيع) ما هذا؟!

منـــى : ولي العهد... جاء بعد بنتين، سمّيت إحداهما رشا، على اسمك.

(تقبل الاثنتان بعضهما بعضاً، تتفحص رشا وجه الرضيع بإزاحة الملاءة عن وجهه، تجذب رشا منى من يدها وتأخذ منها حقيبة اليد لتضعها على الطاولة، تنظر إليها بود):

منـــى : أخيراً عدت؟ يا خائنة... كل هذا الغياب؟

رشـــا : كتبت لك عن ظروف الدراسة والعمل.

منـــى : وأنـــا لم أضيع وقتي ... ثلاثة أولاد والرابع على الطريق.

رشـــا : رابع؟! أكيد أنت مجنونة.

منـــى : يمكن هناك امرأة وظيفتها أن تنجب أولاد وامرأة ثانية تصنع بالفن أمجاد.

رشـــا : ليس لدي طموح للأمجاد... المهم أن أصنع أفلاماً أكثر مما أنجب أولاداً.

منـــى : لن تسبقيني... سأضعه في غرفة النوم؟!

رشـــا : لا يوجد غير هذه الغرفة؟ لنذهب إلى المطبخ.

(تضع منى الرضيع على الكنبة وتخرج بعد أن أخذت علبة السجائر والقداحة وتشعل سيجارة مما يدهش رشا)

رشـــا : تدخنين وأنت حامل؟!

منـــى : كنت أدخن وأنا ألد أيضاً...

(تنخفض الإضاءة حتى يسود الظلام) (يسمع صوت المخرج قاسياً)

صوت المخرج: لا تتوقفوا... المشهد الثاني فوراً.

ص. مساعدة المخرج: استعداد... صمت... كاميرا.

(على الفور يرن جرس هاتف، يسمع صوت رفع سماعة الهاتف ثم صوت رشا، ترتفع الإضاءة حيث نرى رشا بملابس منزلية مغايرة عن سابقتها، وقد ربطت رأسها بمنديل، الكنبة فارغة والغرفة أكثر ترتيباً من المشهد السابق).

رشـــا : ألو... ألو... ألا تريدون أن تتكلموا؟!

(تضع رشا السماعة وتتوجه إلى المطبخ ولكنها قبل أن تخرج يسمع رنين جرس الباب، تعود إلى حيث الباب، تختفي في الظلام، يسمع صوت صرير فتح الباب).

ص. رشا: (بدهشة) وليد؟ لم أتوقع زيارتك.

ص. وليد: ليس من المعقول أن أترك فرصة عودتك يا أحلى بنت بهذه "الضيعة"؟!

(تظهر رشا وخلفها وليد، إنه يحمل الحقيبة على كتفه وبيده باقة الزهور الفخمة، وليد يرتدي ملابس أنيقة ولكنها بسيطة وأقرب للرياضية).

وليـــد : الورد لك...

رشـــا : هذا أول ورد يصلني... شكراً لك يا ملك الذوق...

وليـــد : حلوة هذه: ملك الذوق... لكن أنت ملكة الجمال...

رشـــا : بهذا الشكل؟ تسمح لي بخمس دقائق لأحسّن مظهري...
وليــد : وحتى عشر دقائق... أقرأ بها السيناريو السخيف...
(يخرج وليد سيناريو من حقيبة الظهر، يجلس على الكنبة، تبدو الدهشة على رشا وقد توقفت على بعد خطوات، ينظر إليها وقد دهش لأنها توقفت وتنظر إليه متفحصة).
رشـــا : سخيف؟ كيف عرفت ولم تقرأه؟
وليــد : لأن المؤلف سخيف.
رشـــا : ولماذا ستقرأ له؟!
وليــد : لأني سأكون بطل المسلسل.
رشـــا : (تتابع بسخرية) السخيف!!
وليــد : لا تدققي على الكلمات.. وجودي سيجعله مسلسلاً عظيماً.
رشـــا : هل تقول ذلك بجدية..؟
وليــد : أنا لا أمزح في العمل.
رشـــا : هذا ليس عمل... اعذرني هذا غرور.
وليــد : تحتاجين وقتاً حتى تعرفي قيمة كل واحد بهذا البلد... تعبت على نفسي حتى أصبحت نجماً.
رشـــا : مثّلت مسلسلات سخيفة..؟
وليــد : وغير سخيفة أيضاً... عزيزتي رشا... تغيرت أمور كثيرة في غيابك، صرنا نفهم أكثر... وعمليين أكثر... نعرف قيمة كل شي... وأهم شي تعلمناه هو قيمة المال والشهرة.

رشـــا : تتكلم بصيغة الجمع... يعني أنت لست حالة خاصة؟ الكل هكذا أصبحوا؟!

وليــد : وأنا أفضلهم على الأقل بقي عندي شيء من القيم.

(تخرج رشا من الغرفة)

ص. رشا: قيم؟!

وليــد : يا رشا... الصراع يتطلب وسائل مختلفة وأحياناً لا أخلاقية... وأقول ذلك بكل صدق... أحياناً الضرب تحت الحزام عمل أخلاقي... وإلا تداسين بأقدامهم.

ص. رشا: هذا الكلام سمعته كثيراً... لكن ليس منك.

وليــد : أنا مضطر أن أقوله لك لأني أعزك ولا أريدك أن تصدمي.. اللعبة شرسة.

(تظهر رشا وقد بدّلت ملابسها بملابس بسيطة ولكن أنيقة)

رشـــا : شرسة؟ لكن ربما لها أصول... قواعد... مبادئ.

وليــد : طبعاً... ومن أول مبادئها... التغزل بأية امرأة جميلة مثلك.

(تنخفض الإضاءة تدريجياً، ينهض وليد ويتجه إلى رشا، تتراجع هي ويتقدم هو باتجاهها بخطوات بطيئة... يصل الاثنان إلى باب الدخول وحين يسود الظلام يصدح صوت رشا بصرخة غاضبة):

رشـــا : أبعد يدك عني... وليد... أنت... أنت...

المشهد الثالث

(ترتفع الإضاءة تدريجياً، يسمع لغط مجموعة التصوير، في منتصف الخشبة توضعت طاولة عليها ملفات وأوراق وكأس شاي وراديو من الأنواع القديمة، تظهر مساعدة المخرج، إنها بملابس رسمية: تنورة، جاكيت، قميص أبيض، تضع كرسياً وراء الطاولة وترتب بعض موجوداتها، تخرج قلماً وتضعه على الطاولة، تمضي خارجة، من الجهة الثانية تظهر رشا، إنها تحمل كيساً شفافاً فيه [الكعك] وترتدي ملابس عصرية محتشمة، تقف في بقعة الضوء تنظر حولها وكأنها تتساءل أين تضع الكيس وأين تقف... اللغط مستمر وتسمع أصوات طرق وموسيقى بعيدة وبعض الكلمات الاحترافية، تظهر مساعدة المخرج، إنها تحمل الكلاكيت، تبعد رشا عن طريقها ولكن الأخيرة تبادرها بسؤال خجل ومتردد):

رشـــا : أضعه على الطاولة؟

مساعدة المخرج: على الطاولة يا عزيزتي... وامسكي الكلاكيت لن تؤلمك يدك.

رشـــا : أنا؟ أنا مخرجة.

مساعدة المخرج: وإذا؟... فيلليني بذاته أمسك الكلاكيت لروسّي.

رشـــا : روسّي؟ فيلليني أخد جائزة «كان» قبل أن يبدأ روسّي بالإخراج.

ص. المخرج: يكفي محاضرات... امسكي الكلاكيت بصمت.

رشـــا : هذا الجهل في فيلمي؟!

مساعدة المخرج: ليس فلمك... (يرتفع اللغط والصراخ والطرق على أشياء معدنية) هذا عمرك... ألم تفهمي... عمرك.

(تختطف رشا الكلاكيت ودون أن تنظر إلى مساعدة المخرج تصرخ مقلدة إياها)

رشـــا : الإعادة الثالثة للعمر... المشهد الثالث والسبعون «خطوة في ألف ميل» الإعادة (تنظر إلى مساعدة المخرج مستفسرة) الإعادة.

مساعدة المخرج: الأولى.

(تختطف مساعدة المخرج الكلاكيت من يد رشا وتمضي خارجة في حين تبحث رشا عن حقيبتها الصوفية القديمة، تعلقها على كتفها بعد أن استخرجت منها ملفاً بغلاف مهترئ، يرن جرس الهاتف، تحار رشا إن كان عليها أن ترد، وتبتسم حين يدخل الموظف الكهل الذي يحمل كيساً فيه [كعك]، يبدو أنه يفاجأ

لوجود الكيس الآخر على الطاولة، ينظر إلى رشا متفحصاً، الهاتف ما زال يرن، يرفع الموظف سماعة الهاتف ويضعها بحركة آلية دون أن يتحدث فيها، يجلس، يتجرع الشاي، يفتح أحد الدفاتر الضخمة، يبدأ بالكتابة ودون أن ينظر باتجاه رشا، يأخذ قطعة كعك ويقضمها دون تعجل، يقوم بتشغيل الراديو فتسمع أغنية شائعة بصوت خفيض، تحاول لفت نظره إليها، تمد يدها بالملف وهي تتنحنح):

رشـــا : أحضرت لك... الأوراق المطلوبة... الشهادة الثانوية... لم أجدها.

(يشير الموظف لرشا أن تنتظر، تنظر حولها وهي تتفحص المكان، يغلق الموظف الملف الذي أمامه ويضعه جانباً، يقفل الراديو، يضع كيس الكعك جانباً، يلتفت إلى رشا):

الموظف:نعم... ماذا تريدين؟.

رشـــا : قلت ... مرحبا.

الموظف:وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته... خير؟!

رشـــا : لم أجد الشهادة الثانوية.

الموظف: وتأتين لتضيعي وقتي؟! قدمي طلب للمديرية لتأخذي نسخة.

رشـــا : وبسرعة؟!

الموظف:بسرعة يصل الواحد إلى الآخرة...

رشـــا : طيب... ممكن أن ترى الملف إذا كان يحتاج لشيء آخر...؟

الموظف: أمري لله.

(يأخذ الموظف الملف منها، يفتحه ويتفحص الأوراق بداخله، يأخذ قطعة كعك)

الموظف:مم.. إخراج سينمائي وتلفزيوني... ألم يكن أفضل لك أن تدرسي جيولوجيا؟ أو بيطرة؟!

رشـــا : بيطرة؟ لا شك أن البيطرة أفضل... لكني لا أستطيع رؤية حيواناً يتألم.

الموظف: والإنسان؟ الحاصل، لم أفهم ماذا ستفعلون بهكذا شهادة، ثالث شهادة هذه السنة... ولا أحد منكم ينتج فجلاً.

رشـــا : السينما والفن في بلادنا بحاجة لأكثر.

الموظف:ستطعمين الفن للناس؟ سيعمر لهم بيوتاً أم سيزرع لهم قطناً أو صوفاً؟ أجيبيني.؟

رشـــا : (مندهشة وتكاد تبكي) يعني... ترفض طلبي؟

الموظف: لو عادت لي لرفضتك كلك... شهادتك تحتاج إلى معادلة.

رشـــا : عادلتها... الوثيقة.

الموظف:(مقاطعاً) هذه الوثيقة انقعيها واشربي مياهها.

رشـــا : لماذا؟

الموظف: يعلمونكم كل شي إلا الفهم... هذه المعادلة مخصصة لنقابة الفنانين وليس لطلب التوظيف...

رشـــا : اسمع يا أستاذ... مضت أيام وأنا أتحملك... تهيّنني وتسخر من شهادتي.

(يفتح الموظف الراديو ويرفع صوته بحيث تصدح أغنية يطغى صوتها على صوت رشا، يسكب الشاب من «ترمس» ويتجرعه، تصمت رشا وهي تحملق به)

الموظف: انتهت المقابلة... انصرفي.

رشـــا : إلى أين؟!

الموظف: حيث تريدين... أرض الله واسعة وما شاالله أنت شباب وقدماك قويتان.

رشـــا : (بغضب متصاعد) يا سيد... أنت موجود هنا لتسهيل أمور الناس... أنت بيروقراطي وأنا سأشتكي لرئيسك... لوزيرك.

(يرفع الموظف صوت الراديو ويشير بإصبعه إلى الباب، تختطف رشا الملف من فوق الطاولة وتندفع باتجاه الباب ولكنها تتوقف، ثم تستدير وقد هدأت):

رشـــا : أنا آسفة... أعتذر.

(الموظف يخفض صوت الراديو)

الموظف: نعم؟!

رشـــا : قلت لك... أنا آسفة... وأعتذر منك... ماذا أفعل الآن..

الموظف: اذهبي للوزير... والمدير... كلهم سيعيدونك إلي.

رشـــا : قلت لك أنا أعتذر.

الموظف: لو لم تكوني بعمر ابنتي وقادمة من الخارج كنت تصرفت... أحضري معادلة شهادة موجهة إلينا، وصورة عن الشهادة الثانوية.

رشـــا : حاضر.

الموظف: وورقة غير موظف ووثيقة لا حكم عليه.

رشـــا : لا حكم عليه؟! هذه لم تكن مطلوبة.

الموظف: والآن أصبحت مطلوبة... عندك اعتراض؟!

رشـــا : لا.. لا.. أبداً.

(يرفع صوت الراديو مجدداً فيصدح صوت مذيع يتحدث عن الطقس. تنخفض الإضاءة ورشا تخطو بخطوات مترددة وقد ضمت الملف بعنف... يسود الظلام...)

(من الظلام يصدح صوت المخرج)

ص. المخرج: ماذا حدث؟ لماذا توقفتم؟!

ص. مساعدة المخرج: انتهى المشهد.

ص. المخرج: إذاً ارتجلوا... افعلوا أي شي.

ص. مساعدة المخرج: رشا... ارتجلي... مثّلي أي شي.

رشـــا : ما قصدك أي شي؟

ص. مساعدة المخرج: تكلمي... ارقصي... ابكي... اضحكي.

رشـــا : بهذه البساطة؟ لن ارتجل... فيلمكم وأنتم افعلوا ما تودون.

ص. المخرج: ما هذه الفوضى... يا آنسة رشا... كل مرة يجب أن نذكرك أن هذا عمرك... هذا ليس فيلمنا... هذا عمرك... عمرك.

(يسود الظلام فجأة وصوت المخرج يدوي وصداه يتردد)

(في هذه الأثناء تتبدل الإضاءة من مكان وقوف رشا إلى زاوية الخشبة حيث جلست الموظفة الشابة على حافة طاولة مرتبة وعليها بعض الملفات، تقوم الموظفة بطلاء أظافر قدمها، إلى جانبها راديو صغير تصدح منه الأغنية التي كانت في المشهد السابق، تبدو رشا مترددة وقد ظهرت بالقرب من الطاولة، تقترب أكثر، لقد أضيف لملابس رشا جاكيت وشال يحيط عنقها، ما أن تراها الموظفة حتى تشير لها بحركة ودية، طالبة منها الجلوس إلى الكرسي المجاور للطاولة):

الموظفة: أنت؟ منذ زمان لم نرك..؟

رشـــا : لو بيدي كنت (تصمت) أريد أن انتهي من هذه القصة.. أظن الملف اكتمل.

(تنزل الموظفة عن الطاولة وقد رمت الملف الذي أعطتها إياه، رمته على الطاولة بلا مبالاة، تعانق رشا من كتفها بلا كلفة وتجذبها لتمشي وإياها محاولة عدم إفساد طلاء أظافر قدميها).

الموظفة: أريد أن أسألك لماذا كل هذا التعب والركض على الوظيفة؟

رشـــا : لأني أريد... كيف اشرح لك... لن أستطيع تنفيذ الفيلم الذي أريد إلا من خلال الوظيفة....

الموظفة: فيلم؟! كل هذا التعب لأجل فيلم.. على كل حال يوجد قرار بوقف التعيين.

رشـــا : ماذا يعني هذا..؟

الموظفة: إذا عندك واسطة فسيتدبر الأمر... لكن الراتب قليل جداً.

رشـــا : ومع ذلك أنت موظفة.

الموظفة: وهل تعتقدين لأجل الراتب... راتبي لا يكفي مصروف جيب... أنا هنا لأجل أشياء أخرى.

(تهم رشا بالكلام ولكن الموظفة تمسكها من كتفها وتجلسها على الكرسي).

الموظفة: اسمعي... ما رأيك أتدبر لك إعلانات تلفزيونية.

رشـــا : إعلانات تلفزيون؟!

الموظفة: لم لا... علاقاتي واسعة... أنت تخرجين الدعاية وأنا أمثل فيها... ألا أصلح؟ انظري..

(تبحث في الراديو عن موسيقى، بعد عدة محطات يسمع فيها قرآن كريم وأخبار وبرنامج علمي، تجد الممثلة موسيقى، أغنية شبابية... تسحب الشال الذي على كتف رشا وسط ذهول الأخيرة، تربطه على خصرها وتبدأ بالرقص بخلاعة ولكن دون إتقان، يرن جرس الهاتف ، تقترب منه دون أن تتوقف عن الرقص، ترفع السماعة وتضعها على الفور، يبدو الاستسلام على رشا، تستند على الطاولة وقد أطرقت تمسك

بملفها، تنظر إلى الممثلة وقد بدا عليها الاشمئزاز، يقرع الباب ويسمع صوت صريره فتصرخ الممثلة دون أن تتوقف:

الموظفة: اخرج... ألا تراني مشغولة؟!

صوت رجل: لكن يا آنسة... معاملتي.

الموظفة: اذهب أفضل من أن تضيع معاملتك نهائياً.

(يسمع صوت إطباق الباب بقوة، تنهض رشا فجأة، فتعترض الممثلة طريقها دون أن تتوقف عن الرقص، تتحول الحركة إلى ما يشبه الرقصة الثنائية، الممثلة تزيد من خلاعتها وتمنع رشا من الوصول إلى الباب في حين تحاول الأخيرة فعل ذلك وقد بدا عليها الإحراج المشوب بالخجل).

الموظفة: كيف؟ ألست سكسيه؟ ألا أصلح للإعلانات؟!... طبعاً الملابس مكشوفة أكثر ونحضر مدرب رقص و"كوافير".

(فجأة تتوقف رشا عن محاولاتها بالخروج وعلى وجهها تعبير قاس، ترمي بالملف في وجه الموظفة فتتطاير الأوراق، تنفجر الموظفة بالضحك).

رشــــا : أنت منحلة... ليس عندك أخلاق... ساقطة.

(تنخفض الإضاءة تدريجياً وتبقى رشا في دائرة الضوء وتعبير قاس على وجهها، تتلاشى كافة الأصوات، تتمتم رشا):

رشــــا : لم أعد لأجل هذا... ولن أسمح لكم... لن أسمح.

(يسود الظلام)

المشهد الرابع

(يظهر العامل، يتوقف في بقعة إضاءة بيضاء، يشير بيديه إشارة وكأنه يرسم ممراً في مقدمة الخشبة وبشكل عرضاني).

العامل : هنا ممر الإضاءة الزرقاء والبرتقالية.

(تتبدل الإضاءة لتضيء بالأزرق والبرتقالي بحيث تشكل ممراً في مقدمة الخشبة، تظهر مساعدة المخرج، إنها بملابس عمل، تحمل شجيرة صغيرة في أصيص، على الشجيرة بعض الأوراق الخريفية الصفراء المحمرّة، يصدح صوت المخرج في حين يخرج العامل ومساعدة المخرج).

صوت المخرج: بسرعة... المشهد عند غروب الشمس.

(يظهر العامل ومساعدة المخرج، إنهما يحملان مقعداً مما يستخدم في الحدائق، طلاء المقعد جديد، يضعانه في وسط الخشبة بالقرب من الشجيرة، يمضي العامل في حين تقوم مساعدة المخرج باقتطاع بعض أوراق الشجيرة ورميها على المقعد وعلى الأرض أمامه، يصدح صوت المخرج مجدداً).

صوت المخرج: استعداد... بسرعة... كلاكيت... أين الكلاكيت؟!

(تهرع مساعدة المخرج باحثة عن الكلاكيت، أخيراً تجدها، تقف أمام المقعد، تقرأ ما كتب على الكلاكيت ثم تضعه بوضعية أفقية وتصفق به)

مساعدة المخرج: الإعادة الثالثة للعمر، المشهد الرابع «استعادة لحظة»، الإعادة الأولى...

(تهرع مساعدة المخرج خارجة، تسمع أصوات عصافير وخرير ماء، تظهر رشا، تبدو أصغر سناً، إنها ترتدي معطفاً خفيفاً وتضع على رأسها قبعة صوفية وقد لفّت على عنقها لفحة صوفية وتعلق على كتفها حقيبتها الصوفية مما تحمله الطالبات في أوروبا، من الحقيبة تبرز بعض الكتب والأوراق، وراءها يدخل البروفيسور، يبدو كهلاً ويرتدي قبعة ويستند على عكاز وله ذقن صغيرة مدببة، إنه يمشي ببطء ووقار رغم حيوية حركات يديه وشيء من الانفعال العاطفي في طريقة كلامه وحركته، يبدو الخجل والارتباك على رشا بل وبعض الخجل ويظهر عليها الاحترام الكبير الذي تكنه للعجوز [يمكن أن يكون الحوار بالإنكليزية على أن تسجل ترجمة بصوت رشا ويبث التسجيل بشكل متزامن مع حوارهما]).

البروفسور: يسعدني أنك تتطورين بسرعة، تتمتعين بخيال فطري لا يخلو من غرابة وجدّة، كذلك أنت قادرة على

تنظيم خيالك بأسلوب فني إبداعي... كل هذا جيد... بل وممتاز.

رشـــا : (تتمتم) أشكرك بروفسور.

البروفسور: (يتابع) ما ينقصك هو العمق ، التعمق بالفكرة ، بالشخصيات، بعلاقاتها، بما حولها... بالتفاصيل.

(يشير لرشا أن تجلس بعد أن انتبه أنها واقفة كالتلميذ الخائف، يخرج صحيفة من جيب معطفه، يطويها ويروح يضرب قدمه بها بتواتر لا يتناسب مع إيقاعه الذي أصبح أكثر هدوءاً).

البروفسور: ما يميز الفن عن اللا فن، القراءة الفلسفية والفكرية ... الموقف الإنساني والأهم: الموقف الجمالي والرؤية الجمالية...

(يبتسم معتذراً ثم يخرج من جيبه زجاجة ويسكي صغيرة، يفتحها وقبل أن يتجرع منها يقدمها لرشا التي تخفض رأسها وتهزه رافضة).

البروفسور: معك حق... الويسكي قوي جداً ولا يتناسب مع فتاة رقيقة مثلك... أما أنا فاسمحي لي.

رشـــا : تفضل يا بروفسور... خذ راحتك...

(البروفسور يتجرع من الزجاجة، ينظر إليها متفحصاً ثم يتجرع رشفة أخرى، يغلق الزجاجة ويعيدها إلى جيب معطفه).

البروفسور: ... أعتقد أنه سيكون لك شأن في بلادك... أحسدك على ذلك...

رشـــا : (بدهشة) تحسدني يا بروفسور؟ تحسدني أنا؟!

البروفسور: لم لا؟... سأشرح لك... نحن (يصمت وكأنه يبحث عن كلمة) نحن متخمون بالفن والثقافة والتجارب المجنونة... لذا أصبحنا ننتج ما يمكن استهلاكه على أنه صرعة... جمهورنا اعتاد الوجبات السريعة... لذيذة وجميلة ولكن لا فائدة منها سوى ملء البطن... أنتم لديكم قضايا، هموم... تساؤلات مصيرية... هذا ما يجعلني أحسدك يا صغيرتي.

رشـــا : (باندفاع مفاجئ) ولكن لهذا الأمر جانباً آخر يا بروفسور.

(يتعالى صوت بعض النوارس التي تتصارع)

البروفسور: انظري إلى النورسين، يتصارعان... يبدو الأمر كاللعب، ولكن أثناء ذلك يفقأ أحدهما عين الآخر... رغم أن كليهما متخم بالطعام.

رشـــا : أنت متشائم يا سيدي؟ اعذرني على جرأتي... أعتقد أن هذين النورسين...

(تصمت وتشهق وتخفض بصرها، تبدأ بجمع أوراق الشجر المتساقط)

البروفسور: أكملي... ما الذي أسكتك؟!

رشـــا : اقتنعت بسخافة فكرتي... فأحدهما ضرب رأس الآخر بمنقاره فهوى...

البروفسور: بالضبط... هذا ما حدث فعلاً... هذا ما يحدث دوماً... اسمعي يا ابنتي... أريدك أن تقرأي مشروعي الجديد، ملخص الفيلم الذي سأنفذه.

(يعطيها الأوراق التي في يده، تأخذها والدهشة مرتسمة على وجهها، ينهض البروفسور ويمضي، تنهض وتسارع وراءه وهي تحشر الأوراق في حقيبتها).

البروفسور: أريد رأيك الصريح... وبالتفاصيل والأفضل أن تكون ملاحظاتك مكتوبة بنقاط مقتضبة.

رشـــا : ملاحظاتي؟ رأيي أنا يا بروفسور؟!

البروفسور: نعم ملاحظاتك، رأيك... إذا وافق المنتج قد أخذك مساعدة لي... لا تقولي هذا لزملائك...

(يقول هذا ويمضي مسرعاً وهو يضرب الأرض بالمظلة، تبتسم هي والذهول بادٍ على وجهها، تلحقه وهي تكاد تتعثر... تتعالى أصواتُ النوارس وتنخفض مع انخفاض الإضاءة إلى أن يسود الظلام والصمت).

(يتصاعد الصوت الميكانيكي للكاميرا ويسمع صوت المخرج بلهجة آمرة):

صوت المخرج: ستوب... المشهد صوّر... هيا... استعداد للمشهد التالي... بسرعة ... نظفوا أوراق الأشجار ... شتاء ، صقيع وبرد الآن...

(تضاء الخشبة، ما زال المشهد كما في السابق، اختفت الأوراق عن الشجرة ونثر الثلج عليها وعلى المقعد، تتمشى الممثلة٢ وهي بملابس مدرّسة رشا تضاف إليها لفحة ومعطف شتوي، إنها تستنشق الهواء، تقترب رشا، إنها أيضاً بملابس شتوية وقد وضعت على عنقها لفحة مصنوعة من قماش الحطة الفلسطينية ومزينة في نهايتها بعلم فلسطين، الممثلة ٢ لا تتعرف على رشا التي تمر مسرعة ولكنها تبصق وتتمتم بشتيمة):

الممثلة٢: قذارة... خرى... إرهابية.

(تتوقف رشا التي يبدو أنها سمعت الكلمة الأخيرة فقط، تلتفت وهي تقول:

رشـــا : توجهين الكلام لي؟

الممثلة٢: رشا؟ لم أعرفك...

رشـــا : وأنا لم أتعرف عليك... آسفة يا سيدتي.

الممثلة٢: ذاهبة إلى حفلة تنكرية؟

(تمسك طرف الحطة وتتأملها ثم تقبلها بهدوء وتتمتم)

رشـــا : هذا من ملابسنا الوطنية.

الممثلة٢: الإرهابيون يستعملونه.

رشـــا : إرهابيون؟! تقصدين الفدائيين الفلسطينيين؟

الممثلة٢: (بسخرية) فلسطينيين... فلسطين... هذا لا وجود له في إلا في أوهامكم...

رشـــا : قبل عام الثمانية وأربعين لم يكن لإسرائيل وجود.

الممثلة٢: (بحدّة) إسرائيل موجودة منذ ثلاثة آلاف عام.

رشـــا : ومكونة من زنوج وصينيين وبولون ومغاربة؟

الممثلة٢: ... وقحة... بالمناسبة ما هو موضوع فيلمك القادم؟!

رشـــا : مأساة الشعب الفلسطيني.

الممثلة٢: أنت سورية على ما أعتقد؟

رشـــا : أرضي محتلة من قبل إسرائيل أيضاً.

الممثلة٢: (تصرخ) أرضك؟ هذه أرض الميعاد... أرضنا وستبقى كذلك إلى الأبد... وأنت ستغيرين موضوع فيلمك... شئتِ أن أبيتِ.

رشـــا : وتتحدثين عن العدوانية يا سيدتي؟!

الممثلة٢: اخرسي...

رشـــا : لا أصدق أننا في وسط أوروبا الديمقراطية، أوروبا الرأي الحر وحقوق الإنسان.

الممثلة٢: تقتلون الأبرياء ثم تريدون التمتع بالديمقراطية وحقوق الإنسان؟!

رشـــا : الذي قتل الأبرياء هم الهاغانا... جيش الدفاع الإسرائيلي ... نابالم أميركا المزين بنجمة داوود.

الممثلة٢: لن أسمح لك بالتخرج من المعهد.

رشـــا : وأنا لن أسمح لأحد بتقرير ما أفعل وما أفكر ومع من أقف...

الممثلة٢: انقلعي... من وجهي... من المعهد... من بلادي... خذي تطرفك واذهبي إلى حيث الأيدي الملطخة بالدماء.

(تبتعد ثم تتوقف للحظة وتلتفت إلى الممثلة ٢ التي جلست على المقعد وقد أخرجت سلسالاً فضياً عليه نجمة سداسية علق تحت معطفها).

رشـــا : تطردينني من بلادك؟ ولكن ألم تقولي للتو أن وطنك هو إسرائيل؟!

الممثلة٢: أنتم العرب محسودون بغبائكم.

رشـــا : لا أعلم من الغبي في هذا العالم... (تبتسم بثقة) على كل حال سأطلب تغيير المشرف على مشروع تخرجي.

الممثلة٢: وأنا سأطالب بطردك للإهانة والمعاداة للسامية.

رشـــا : في هذه تخطئين... فأنا مثلك ساميّة...

(تقول رشا كلمتها الأخيرة ملاحقة بها الممثلة٢ التي تندفع خارج الخشبة بخطوات شبه عسكرية، تضرب رشا الأرض بمقدمة حذائها وكأنها تحفر فيها حفرة، تتوجه إلى المقعد وتدمدم بلحن أغنية شائعة عن القضية الفلسطينية [مارسيل خليفه، الشيخ إمام أو غيرها] تنخفض الإضاءة تدريجياً... في الظلام يصدح صوت المخرج).

ص. المخرج: ستوب... قلت ستوب!! المشهد الذي بعده.

ص. مساعدة المخرج: قلت أنه ملغى... مباشر جداً...

ص. المخرج: ... نصوّره ثم نلغيه عند المونتاج...

(تضاء الخشبة بإضاءة قوية، كل شيء كما كان باستثناء أوراق الشجرة التي أصبحت الآن خضراء وأكثر عدداً من التي كانت في المشهد السابق، يظهر البروفسور إنه يرتدي قبعة من القش وجاكيتاً صيفياً ولفحة عنق رقيقة، إنه يتكئ على عكاز ولكنه يبدو نشيطاً وحيوياً، وراءه تظهر رشا، إنها الآن ببنطال جينز وقميص وقد ربطت رأسها بعصابة مطاطية ملونة وتحمل الحقيبة الصوفية ذاتها... يشير البروفسور لرشا أن تجلس على المقعد، يجلس بدوره، أصوات خرير الماء والعصافير أكثر وضوحاً من المشهد الماضي).

البروفسور: أريد أن أعتذر لك... أجبرناكِ على تغيير موضوع فيلمك.

رشـــا : سأنفذه يوماً...

البروفسور: هذا جيد... وإن كنت أرى أن الفيلم الذي أنجزتيه أكثر حياتية وأقل مباشرة...

رشـــا : عشت كل لقطة في الفيلم.

البروفسور: يجب أن تتذكري دوماً... أن اللقطة السينمائية، أية لقطة يمكن نظرياً أن تعاد عدة مرات، وبعشرات الاحتمالات، كذلك المشهد...

(رشا تهز رأسها وقد بدا عليها أنها جادة، يبتسم البروفسور لرشا ويتابع حديثه مخففاً من صرامته).

البروفسور: العمر يا عزيزتي... فقط العمر لا يمكن إعادته... وكل ما يمضي، حتى أفلامنا التي أنجزناها تصبح جزءاً من عمر لا يمكن إعادته أو تغيير ما حدث فيه.

(ينهض البروفسور ويمشي حول المقعد بحيث يتوقف أحياناً وراء ظهر رشا التي تنكمش في جلستها).

البروفسور: أنت الآن أنجزت فيلماً معقولاً... تجربة لا بأس بها، بطلاتك مقنعات لأنهن قمن بأدوارهن الحياتية... أقرب ما يمكن إلى الواقع.

رشـــا :ليس بدقة... أجريت الكثير من التعديلات وتدخلت فيما يخص طباعهن ونشأتهن. الواقع... كان أكثر فظاظة وأقل شاعرية...

البروفسور: (مقاطعاً) لا يهم... ألسن مهاجرات من بلادهن؟ ألم تستعرضي معاناتهن كنساء وكغريبات وكشرقيات؟!

رشـــا : حاولت ذلك...

البروفسور: إلى أي حد؟!

رشـــا : إلى حد كبير.

البروفسور: هذه هي النقطة التي ستتحدثين عنها في دفاع التخرج.

رشـــا : ولكني كنت أود...

البروفسور: (مقاطعاً) لا يهم ما تريدين... كثيراً ما يتحدث المخرج عن أشياء يريد جمهوره أن يسمعها، مع أنها لا تتطابق مع قناعاته... هيا... جربي....

رشــا : ماذا أجرب؟

البروفسور: انهضي... هنا على المقعد... أمامك لجنة الدفاع العلمي لنيل شهادة الإخراج.

رشــا : أرى نوارس فقط.

البروفسور: هذه ليست نوارس يا عزيزتي، أم خانك خيالك؟!

رشــا : لست مستعدة...

البروفسور: يا صديقتي... لن ينتظرك أحد حتى تستعدي... على المخرج أن يكون مستعداً دوماً أمام جمهوره...

رشــا : حسناً... سأحاول.

(تنهض رشا وتصعد على المقعد، تنتزع المنديل عن رأسها وتبدأ كلامها بشيء من التلعثم):

رشــا : أنا... في الحقيقة...

البروفسور: لا تبدأي بأنا... ولا بــ «الحقيقة»... كوني أكثر طلاقة دون التخلي عن التواضع.

رشــا : (بطلاقة أكثر) الفيلم الذي ستشاهدونه، محاولة لتلمس مشكلة إنسانية نسائية أصبحت شائعة بعد النصف...

البروفسور: (مقاطعاً) جملة طويلة ومملة وجافة...

رشــا : (تفكر للحظة وتندفع بكلامها) ما سترونه على الشاشة بعد قليل هو نتاج تجربتي الحياتية، ما لم يحصل معي عايشته من خلال صديقاتي، فتيات أتين إلى الغرب في محاولات للحصول على الحرية، عبر الدراسة، عبر الاستقلال، عبر تحمل المسؤولية....

(تدريجياً يسود الظلام وبعد لحظة صمت يسمع تصفيق متفرق يمتزج بصيحات خجولة، «جميل»، «لطيف»، «مشكلة تجاوزناها»، «هام حتى بالنسبة إلينا»... «الغربة حتى في داخلنا نحن»، «مرآة لما يحدث»، «مرآة لتخلف الشرق»... «مقنع»... «مؤثر»...)

(يسود الظلام ويصدح صوت الرجل).

ص. المخرج: ستوب... كفى... المشاهد الثلاثة الأخيرة تلغى...

(صوت مساعدة المخرج يختلط مع أصوات إزاحة قطع الموبيليا وقرقعة أجهزة الإضاءة وخطوات تبتعد).

ص. مساعدة المخرج: لو كنت تدفع ثمن ما نفعل لما ألغيت ما صورناه...

ص. المخرج: صمت... لا أريد أي اعتراض... مفهوم؟!!

(يسود الظلام)

المشهد الخامس

(يصدح في الظلام صوت مساعدة المخرج وفور ذلك يضاء ضوء باهت في منتصف الخشبة).

ص. مساعدة المخرج: أعطوني الضوء المناوب... أي ضوء...

(الممثلة٢ ترتدي ثياب العاملة وتحمل الكلاكيت، ترميها على الكنبة التي كانت في العمق، تخرج أوراق السيناريو من جيبها الضخم، تقرأ فيها، تنزل الأوراق بعنف ضاربة إياها بساقها، تزفر ثم تقول بصوت يظهر الضيق فيه):

ص. مساعدة المخرج: المشهد الذي أطيقه... (تصرخ) استعداد الكومبارس... الملاءات السوداء... أقول السوداء وليس البيضاء...

ص. المخرج: الحلم نصوره بطريقة المزج... قطع... استعداد ... كاميرا... كلاكيت.

(يظهر الممثل وقد ارتدى ملاءة سوداء تغطيه من رأسه إلى أسفل قدميه، بيده يحمل فانوساً كازياً قديماً،

تدخل رشا بملابس النوم، إنها تحمل بيدها شمعة وكوباً تتجرع منه، تنظر حولها ودون أن تلاحظ الممثل١ يتمتم):

رشـــا : انقطعت الكهرباء من جديد.

الممثل١ : أنا قطعتها.

رشـــا : هه!!... من أنتِ؟!

الممثل١ : جدك.

رشـــا : جدي... لا أعرفه... مات عندما كنت صغيرة...

الممثل١ : إذاً أبوك...

رشـــا : أبي؟! كان قصير القامة...

الممثل١ : عمك... أو أحد أخوالك... المختار أو البقال.

رشـــا : ماذا تريد مني؟!

الممثل١ : الطاعة...

رشـــا : الطاعة؟! لمن... لك؟!

الممثل : لنا... لي... ولهم...

رشـــا : كأنك كابوس... لكن تُضحك قليلاً...

(فجأة يتقدم الممثل١ منها ويقرب الفانوس بحيث يوحي بأنه سيحرقها تقفز مبتعدة، تطفأ الشمعة، تنظر رشا حولها بذعر).

رشـــا : لا أريد العتمه...

الممثل١ : إذا لم تطيعي سيحاصرك الظلام... ستغرقين بالعتمة... سألاحقك بالظلام... انشره حوالك...

رشـــا : أفيق من نومي تختفي..

الممثل١: جربي...

(تدخل الممثلة٢، إنها تحمل أيضاً فانوساً ولكن شكله مختلف وقد ارتدت ملاءة سوداء تغطيها، تضع يدها على كتف رشا برفق، من الخلف، تشهق رشا وتقفز بحيث تصبح بين الشبحين).

رشـــا : هه... من أنتِ؟!

الممثلة٢: إن قلت لك أمكِ... تفرق معك؟!

رشـــا : أمي كانت... جميلة... حلوة...

الممثلة٢: (للممثل١) قلت لك أنه لا فائدة معها... عنيدة... اتركها... الزمن كفيل بها.

الممثل١: ليس بسهولة... نريد مصلحتها... تحمل اسمنا ويمكن أن توسخه.

الممثلة٢: لنجرب إذن...

(يقترب الاثنان من رشا ويلوحان بأيديهما الحرة بقوة وبالفوانيس وبحركات دائرية حولها، حركات تشبه الطقوس الدينية العنيفة).

الاثنان معاً: اقرأي شعراً!

رشـــا : شعر؟ الآن؟!

الاثنان معاً: لا تسألي... اقرأي هيا.

رشـــا : لا أحفظ.

الاثنان معاً: (يصرخان) اقرأي...

رشــا : (تتمتم دون وزن أو تنغيم)

لا أحد... يا حبيبتي (*)

يريد أن يستمع إلى إفادتي...

فالقضاة معقدون...

والشهود مرتشون...

وقرار إدانتي...

صادر قبل صدوره...

لا أحد يا حبيبتي...

يفهم طفولتي...

فأنا أنتمي إلى مدينة لا تحب الأطفال...

الممثل ١: (يصرخ) هذا شعر؟!

رشــا : (تتابع ولكن بشيء من التنغيم)

فأنا أنتمي إلى مدينة لا تحب الأطفال...

ولا تعترف بالبراءة...

ولم يسبق لها...

أن اشترت وردة... أو ديوان شعر

أنا من مدينة... خشنة اليدين

خشنة القلب...

خشنة العواطف

(*) «١٠٠ رسالة حب»، نزار قباني، الطبعة الثانية عشرة، آذار (مارس) ١٩١٢، المقطع ٨٧، الصفحة ١٧٢.

الممثلة٢: يكفي... (تصرخ) سأحرقك... توقفي...

رشـــا : (تتابع بإصرار)

من كثرة ما ابتلعت من المسامير... وقطع الزجاج

أنا من مدينة جليدية الأسوار

مات جميع أطفالها...

من البرد...

الممثل : اسكتي...

الممثلة٢: اخرسي... وخاصة عندما يتكلم معك رجل...

الاثنان معاً: لا نسمح لك... تجاوزتي كل الحدود...

(في هذه الأثناء تخرج الممثلة٢ حزاماً جليدياً، أمام الممثل١ فيخرج سوطاً، يلوحان بهما ويفرقعان حول رشا التي جلست القرفصاء ووضعت رأسها بين يديها وهي تكرر بآلية صارخة):

رشـــا : مات جميع أطفالها...

من البرد...

من البرد...

من البرد...

(يتوقف الاثنان وهما ينظران إليها، يغطيان الفوانيس بالملاءات السوداء فيسود ظلام للحظات يختفيان خلالها، تنفجر رشا بضحكة شبه هستيرية).

رشـــا : حلم... حلم سخيف... أنا أصلاً... لا أقرأ الشعر... حلم، وسأفيق... الآن أريد أن أفيق... الآن... الآن...

(ترتفع الإضاءة للحظة، رشا جالسة على الأرض وقدماها منبسطتان ومتباعدتان، شعرها مشعث وبيدها الكأس وقد وضعت بداخله الشمعة المطفأة والدموع تنهمر من عينيها، تمسحها بظاهر كفها...)

رشـــا : لا... ليس حلماً...

(يسمع صوت المخرج)

ص. المخرج: ستوب... صور المشهد... خذوا بعض التفاصيل الشمعة... الكأس... عينيها ودموعها.

ص. مساعدة المخرج: لا يوجد دموع بعينيها...

ص. المخرج: ضعوا لها غليسرين... ماء... زيت...

ص. مساعدة المخرج: ... لا تصرخ... قمنا بما أمرت به...

(ما زالت رشا جالسة ولكنها جمعت قدميها الآن، جسدها يهتز وقد أخفت وجهها، بحيث لا يظهر إن كانت تبكي أو تضحك... تظهر الممثلة٢ والممثل١، إنهما بثياب العمال، يرفعان رشا من مرفقيها، الممثل١ يأخذ منها الكأس والشمعة، الممثلة٢ تسحبها برفق، تجلسها على الكنبة في عمق الخشبة، يسود الظلام...)

المشهد السادس

(يصدح صوت المخرج في الظلام)

ص. المخرج: هيا... ليس لدينا وقت... الماكياج والملابس أهم شيء في هذا المشهد... مفهوم؟ لماذا لا يجيب أحد حين أسأل؟... هيا أسرعوا... أحبائي... أعزائي... نحن نفعل ما لم يفعله أحد...

(تضاء مقدمة الخشبة، تدخل مساعدة المخرج إلى رشا التي ما زالت في عمق الخشبة جالسة على الكنبة، خلال مرورها تتمتم مساعدة المخرج بشيء من الضيق وهي تقلد صوت الرجل):

مساعدة المخرج: أحبائي... أعزائي... نحن نفعل ما لم يفعله أحد... الخلاصة: سينما مثقفين.

(تدفع مساعدة المخرج الكنبة إلى مقدمة الخشبة، ما زالت رشا جالسة ولكنها ارتدت الآن جاكيتاً رسمياً ولفت عنقها بوشاح حريري بنفسجي اللون، تصبح الكنبة الآن تحت الضوء مباشرة، تبدو رشا ساكنة وقد أخرجت من حقيبتها أدوات ماكياج وراحت ترسم

بالكحل حول عينيها وتضع أحمر الشفاه، في هذه الأثناء تقوم مساعدة المخرج بتصفيف شعر رشا...

خلال ذلك يقوم الممثل١ بتجهيز ديكورات المشهد: يدفع طاولة مكتب عليها عدة هواتف وصورة امرأة وحولها عدة أولاد، يأتي الممثل بكرسي مكتب عالي المسند وأصيص فيه نبتة بلاستيكية مغبرة، أخيراً يعلق صورة لنجمة ترتدي ملابس سهرة تكشف عن ساقها ونهديها.

(تنهي مساعدة المخرج عملها في تصفيف شعر رشا، تتفحصها وتقول لها بسخرية):

مساعدة المخرج: مخرجة... ولا تتقنين تزيين وجهك؟!

رشـــا : «ماكياجي».. لا ينفع؟!

مساعدة المخرج: طبعاً لا ينفع... لو كنت المنتج الذي ستقابلينه كنت طردتك قبل أن اسمع ما عندك...

رشـــا : ولكني... ذاهبة لأجل شغل... كمخرجة وليس كممثلة...

مساعدة المخرج: ما الفرق؟... ألست امرأة؟...

(يصدح صوت الرجل)

ص. المخرج: استعداد!!... إضاءة... كاميرا... كلاكيت

مساعدة المخرج: جاهز...

ص. المخرج: تصوير...

مساعدة المخرج: المشهد... المشهد الثامن عشر... اللقطة الأولى... الإعادة الأولى.

(تسلط إضاءة قوية على موقع الديكورات فقط، تبدو رشا متململة وقلقة، تحاول تعديل ملابسها وترتيب شعرها، يرن جرس الهاتف، يتداخل مع رنين جرس هاتف آخر مختلف بصوته، رشا تنهض وهي تنقل نظراتها بين الهاتف الأول ثم الهاتف الثاني، ثم تنظر باتجاه المدخل المظلم... يسمع صوت سعال رجل، تجلس رشا وتتظاهر بأنها لم تسمع رنين الهاتف الذي ينقطع تدريجياً، يظهر المنتج يرتدي ملابس فاقعة الألوان وإن كان الشيب يغطي صدغيه، إنه يضع سلسلة ذهبية على عنقه وإسوراً ذهبياً ضخماً في يده، المنتج يغلق فتحة بنطاله ولا يخجله وجود رشا التي تدير وجهها بحدة وعصبية، يقول لها بتودد):

المنتج : لماذا لم تردي على الهاتف؟!

رشـــا : أنا أرد؟!

المنتج : لم لا... كل من هو موجود في مكتبي حر التصرف...

رشـــا : لكن أنا لم أتعود أن أرد على هواتف الغير...

المنتج : لا مشكلة... ما عندك؟

رشـــا : سلمت النص السينمائي (السيناريو)

المنتج : آه... صحيح... قرأت... الصفحة الأولى والأخيرة... ممتاز... ومهم...

(يصمت فجأة ويبدأ بالبحث في أدراج المكتب، رشا تحدق به وهي تنتظر أن يتابع كلامه بفارغ الصبر

ولكنه لا يفعل، بل يخرج العديد من الأشياء الغريبة من أدراج المكتب، علبة هدية، مسدس، ألبوم صور، إناء من الكريستال.

المنتج : آسف... لا أطيق رائحة عرقي... (بجدية) إيه... عن ماذا كنا نتكلم؟!

رشـــا : عن فيلمي.

المنتج : فيلمك... أظن أن المشكلة التي تطرحينها في السيناريو لا تهم أحداً.

رشـــا : لكن قبل قليل قلت...

المنتج : (مقاطعاً) ليس مهماً ما أقول... أدعوك للعشاء... ونحن نرقص نبحث عن طريقة لتمويل الفيلم.

رشـــا : هذا آخر كلام عندك؟!

(تنهض بعصبية ينهض بدوره ويحاول تهدئتها)

المنتج : ما بك يا آنسة؟ أنت آنسة أليس كذلك؟...

رشـــا : إذا شئت.

المنتج : ودرست الإخراج في أوروبا... وعملت في استوديوهاتهم.

رشـــا : وماذا يغير هذا الشيء؟!

المنتج : يعني تؤمنين بالممارسة الحرة للجنس.

رشـــا : ماذا؟!

المنتج : ما بك وكأن عقرب لسعك؟! اجلسي واهدئي.

رشـــا : أظن أنه لم يعد هناك داع لجلوسي... عن أذنك.

المنتج : لا تذهبي حتى تسمعينني.
(يضع يده على كتفها في محاولة لإجلاسها ولكنها تبعد يده بعنف فيضع كلتا يديه على كتفيها ويجلسها بطريقة فظة).

المنتج : اسمعي... أنا أمزح معك... قلت لك لا ترحلي حتى تسمعيني.

رشـــا : أسمعك وأنا واقفة... وبجانب الباب.

المنتج : لا تخافي... أنا لا أغتصب... أنا حتى وعود لا أعطي... هذه الصورة؟!

رشـــا : رأيتها.

المنتج : هذه زوجتي وأولادي.

رشـــا : لم أعتقد أنهم أولاد الجيران...

المنتج : أريك إياهم حتى تعرفي أن الله كفاني... وإذا أردت امرأة فيجب أن تأتي على رجليها... وتترجاني أيضاً.

رشـــا : لا... ووقح أيضاً.

المنتج : أرأيت أنك متخلفة... وفي السيناريو تجدين نفسك متحررة وتقدمية.

رشـــا : أنت تافه... أعطني السيناريو... أعطني نصّي.

المنتج : تأخذينه مع عقد التنفيذ وقبلة أيضاً.

رشـــا : نذل... حقير...

المنتج : ليس من قلبك.

رشـــا : وضيع سافل... منحط...

المنتج : كله من رغبتك... وستأتين وتترجيني.

رشـــا : قذر... تافه... سافل... منحط... حقير...

(تنخفض الإضاءة تدريجياً، في هذه الأثناء يقوم الممثل ومساعدة المخرج بإخراج قطع الديكور وإعادة قطع ديكور غرفة رشا، يسمع صوت راديو يقدم برنامجاً صباحياً، يسود الظلام للحظات ثم ترتفع إضاءة الغرفة... تدخل رشا وهي بملابس رياضية، تبدأ موسيقى رياضة الصباح، تبدأ هي بإجراء تمارين رياضية في المكان وهي تردد بلا انفعال):

رشـــا : نذل... تافه... مخنث... غبي... سافل... منحط... حقير... خائن...

(تصمت فجأة والدهشة مرتسمة على وجهها، تظهر مساعدة المخرج، تبدو وكأنها تبحث عن شيء في الأعلى، بيدها ورقة فاكس).

رشـــا : لا تقولوا ستوب.

مساعدة المخرج: هس... المخرج نائم.

رشـــا : نائم في التصوير.

مساعدة المخرج: أقول لك هس... جاءك فاكس.

رشـــا : فاكس؟ من أين.

مساعدة المخرج: من النمسا... وباللغة الألمانية.

رشـــا : لا أعرف ألماني.

مساعدة المخرج: ولا أنا... لكن قرأته.

رشـــا : كيف قرأته؟!

مساعدة المخرج: في هذا البناء يجب أن لا يخفى علينا شيء... عندنا مترجمين.

رشـــا : طيب قولي لي ما يوجد به.

مساعدة المخرج: تكرمي... (تفتح الورقة وكأنها تقرأها)

رشـــا : تمسكينه بالمقلوب.

مساعدة المخرج: غير مهم... حتى أتذكر ما به: الآنسة رشا كان لفيلمك وقع جيد خلال عرضه في المهرجان الماضي... ولولا أنه كان قديماً لدخل المسابقة ونافس على إحدى الجوائز... نرجو منك أن ترسلي لنا فيلمك الجديد لأننا على قناعة بأنه سيكون... سيكون.

رشـــا : لماذا سكت؟!

مساعدة المخرج: لحظة... لأتذكر الكلمة... سيكون... عظيماً، غبياً، جيداً، تافهاً، مهماً... لا لا... ولا واحدة من هذه... إيه: سيكون ملفتاً... لك كل الود والاحترام... (تختطف رشا الفاكس من يد مساعدة المخرج وتحاول قراءته)

رشـــا : تحفظينه عالغيب؟!

مساعدة المخرج: أصول الشغل... هيا استعداد للمشهد الذي يليه. (تقول مساعدة المخرج ثم تنظر إلى أعلى وتهم بالصراخ ولكنها تحجم، تقول همساً وقد أحاطت فمها بيديها).

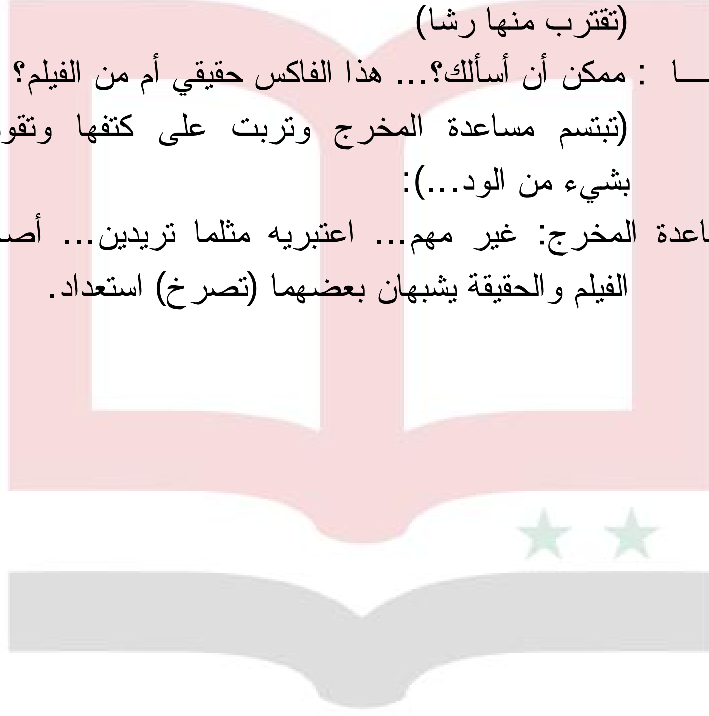
مساعدة المخرج: استعداد...

(تقترب منها رشا)

رشــــا : ممكن أن أسألك؟... هذا الفاكس حقيقي أم من الفيلم؟

(تبتسم مساعدة المخرج وتربت على كتفها وتقول بشيء من الود...):

مساعدة المخرج: غير مهم... اعتبريه مثلما تريدين... أصلاً الفيلم والحقيقة يشبهان بعضهما (تصرخ) استعداد.



المشهد السابع

(في الظلام يصدح صوت المخرج، يتصاحب حواره مع مساعدته مع ضجيج ورشة عمل ولغط عمال تتخلله كلمات تقنية سينمائية مثل [العدسة، إضاءة، ماكياج، شاريو، إكسسوار، حوار، ديكور، فلتر]...)

ص. مساعدة المخرج: لكن المشهد غير موجود بالسيناريو؟!

ص. المخرج: وليكن... المشهد من تأليفي...

(تتصاعد الإضاءة، مساعدة المخرج بملابس المشهد الأول، إنها تجلس على الكنبة تشرب شيئاً ساخناً وتدخن سيجارة بمبسم، بين يديها بعض الأوراق، تهز برأسها رافضة).

مساعدة المخرج: الفيلم عن حياتها... حياة على كيفك؟!

ص. المخرج: ولمَ لا؟ أولاً هذا من وحي خيالي الإبداعي.

مساعدة المخرج: ولكن الحياة حياتها!!

ص. المخرج: وهي ممثلة في فيلمي أنا... أعتقد أنها تفهم هذا الشيء إن كانت درست الإخراج عن جد... غير ذلك لماذا تتدخلين فيما لا يعنيك؟!

مساعدة المخرج: آسفة أستاذ.

(تنهض مساعدة المخرج عن الكنبة وتبدأ بالنظر إلى المكان وتحاول ترتيبه ليعود غرفة رشا، تبدو غاضبة قليلاً فهي ترمي الأشياء وتدفع الطاولة بقدمها).

ص. المخرج: استعداد!

مساعدة المخرج: استعداد... المشهد... مشهد مضاف... الإعادة الأولى.

ص. المخرج: إضاءة.

(تسطع الإضاءة، ترفع مساعدة المخرج الكلاكيت)

مساعدة المخرج: كاميرا...

(تصفق مساعدة المخرج الكلاكيت وتبتعد بسرعة بعد أن اختطفت الكأس، تدخل رشا وتأخذ الكأس من مساعدة المخرج وترشف منه، إنها ترتدي ثوباً يظهر بعض أنوثتها وقد صفف شعرها، تضع الكوب على الطاولة، تقترب من المسجل تبحث بين الأشرطة، تجد شريطاً فتضعه لتنساب موسيقى هادئة، من حقيبتها تخرج نصاً سينمائياً مطوياً، تضعه، تضع دفتر ملاحظات وقلماً، يرن جرس الباب، تندفع باتجاه الباب فيسمع صوت وليد).

ص. وليد: لم أتأخر؟!

رشـــا : بل أتيت قبل وقتك بخمس دقائق وهذا يعادل التأخير.

(يدخل وليد وهو يحمل باقة زهور شبه ذابلة، إنه متأنق رغم أنه بملابس أشبه بالملابس الرياضية).

وليــد : آسف لم أجد أفضل من هذه الزهور.

رشــا : تشبهني.

وليــد : أنت؟! على العكس أنت في أوج تفتح أنوثتك... أعتذر عن تصرفي السابق.

رشــا : ماذا تشرب؟!

وليــد : لا فرق... نرقص؟!

رشــا : نرقص؟ بشرط... التهذيب أولاً...

وليــد : رقص مهذب؟! لا أعد وأحاول...

(يمسك برشا ويضع يديه على خصرها، تحاول التمنع ولكنه يجذبها بعنف)

رشــا : اسمع يا وليد.

وليــد : أنت اسمعي... الموسيقى.

رشــا : وليد... أرجوك...جئت لنقرأ مشروعي الجديد.

وليــد : عندنا وقت.

رشــا : أرجوك... ماذا تريد مني؟!

وليــد : الذي يريده أي رجل من أية امرأة شهية...

رشــا : ... تجاوزت كافة الحدود...

(تدفعه وتبتعد إلى المسجل لتوقف الموسيقى، يبتسم وليد بسخرية ويراقبها... يتوجه إلى الكنبة، يجلس، يأخذ النص ويتظاهر بأنه يقرأه).

رشـــا : أنا آسفة...
وليـــد : كنت مغرمة بي!!
رشـــا : قبل... أن
وليـــد : قبل أن أتزوج؟!
رشـــا : وتصير نجماً...
وليـــد : آه... هذا يزعجك؟!
رشـــا : لا، لا أعرف... أرجوك... اعذرني يا وليد.
وليـــد : أعذرك؟! غريب أمركن يا بنات حواء...
رشـــا : أنا... أحبك فعلاً ولكن ليس كامرأة... كصديق...
وليـــد : صديق قديم... حبيب قديم... حذاء قديم... جورب قديم... عقل قديم.
رشـــا : أرجوك... أوقف هذه السخرية... أقدر أن أطلب منك طلب؟!
وليـــد : ما هو؟!
رشـــا : أن... وتمشي.
وليـــد : أذهب مطروداً؟! تطردني؟!
رشـــا : لا... افهمني... أنا لا أريد أن أخسرك.
وليـــد : تشتهيني لكنك خجلة... سأساعدك...

(أثناء كلماتها الأخيرة تقترب رشا محاولة التودد إليه ببراءة ولكنه يجذبها إليه ويضرب اللمبادير بقدمه فيسقط على الأرض، تتعالى صرخات رشا ولكن وليد يتمتم وهو يلهث).

رشـــا : نذل... دعني... حقير... لن تتمكن.

وليـــد : لن تمانعي... أنت لي... وستكونين لي كلما شئت...

رشـــا : دعني... سأقتل نفسي إن حصل ذلك... اتركني... إذا حصل سأقتل نفسي.

(يسود الظلام وترتفع الموسيقى التي كانت خلال بداية المشهد... ترتفع بشكل صاخب وحاد...)

ص. المخرج: ستوب... من أين أحضرت الجملة الأخيرة؟! غير موجودة في الحوار!!

ص. مساعدة المخرج: قلت لك... إنها حياتها... وأنت أفسدتها بمشهدك هذا...

(يسود الصمت بعد أن تقطع الموسيقى فجأة)

(من الظلام يسمع صوت رشا المنفعل):

ص. رشا: سأقتل نفسي... لن أقتل نفسي... حصل... لم يحصل... غبت عن الوعي... لن أبرر... اقتل نفسي؟... لن أفرح النذل... سأقتله...

(ترتفع الإضاءة مع كلمة المخرج، رشا تجلس خلف الكنبة وتحدق في الفراغ الأمامي)

ص. المخرج: ستوب... لا تصوروا... أين مساعدتي؟!

ص. مساعدة المخرج: (بهدوء) موجودة... أراقب هستيريا بعد الاغتصاب.

ص. المخرج: نعطيها استراحة... نصور المشهد الذي بعده...

(تظهر مساعدة المخرج، ترفع رشا وهي تربت على شعرها وتحيطها بعناق حميمي لتقودها إلى خارج الخشبة... تنخفض الإضاءة، يسمع صوت المخرج الذي يبدو متأثراً الآن).

ص. المخرج: المشهد القادم... بلا دموع ولا هبل...

(تنخفض الإضاءة تدريجياً)

المشهد الثامن

(في الظلام يسمع صوت مساعدة المخرج، يبدو الصوت خفيضاً وعلى شيء من الحميمية):

ص. مساعدة المخرج: رشا... أين أنت؟! انقطعت الكهرباء... أعطني صوت أعرف منه أين أنت... رشا...(بصوت صارخ مفاجئ) أعطوني مصباحاً... فانوساً... أي مصدر ضوء... بسرعة...

ص. المخرج: أعطوها مصدر ضوء... لكن بهدوء...

(يظهر العامل، إنه يحمل مصباحين يدويين، يشعل أحدهما ثم يطفئه ليشعل الآخر، يفعل ذلك وكأنه يحاول فرض إيقاع معين).

ص. مساعدة المخرج: هل تلعب؟!

ص. العامل:... تفضلي.

ص. مساعدة المخرج: أعطيني المصباحين... (توجه أحد المصباحين إلى وجهه والآخر إلى وجهها)

العامل :وهل أقدر أن أرفض لك طلباً؟!

(يختفي العامل وتبدأ مساعدة المخرج بالبحث عن رشا مستخدمة المصباحين الكهربائيين، في حركتها شيء إيقاعي ومتوازن، من الممكن أن يتصاحب ذلك مع موسيقى أو إيقاعات متوترة).

مساعدة المخرج: رشا... أين أنت؟ رشا... دعيني أعرف إن كنت حية... مريضة؟ مجروحة؟! (تصرخ) رشا... رشا...

(بهدوء تام يجيبها صوت رشا الذي يبدو الآن عميقاً دون تلوين معين...)

ص. رشا: وراء الأريكة....

(تندفع مساعدة المخرج باتجاه الكنبة ولكن صوت رشا الصارم يجعلها تتوقف وهي تبحث بمصباحيها حتى تركزهما على الكنبة، تظهر رشا، تنهض من وراء مسند المقعد، يتضح أن رشا ترتدي ملابس سهرة تظهر أكتافها وصدرها وقد صفف شعرها وماكياجها مبالغ فيه للغاية... تبدو وكأنها امرأة أخرى رغم التعب والصرامة التي ترتسم على وجهها).

مساعدة المخرج: رشا... ما الذي فعلوه بك؟!

رشـــا : (بهدوء) أعجبك؟

مساعدة المخرج: إعجابي ليس مهماً.

رشـــا : لا انفع للفيلم؟!

مساعدة المخرج: أنا لا أقرر هذه الأشياء... أصلاً... لا دخل للفيلم.

رشـــا : من دخله إذاً؟ عمري... ؟!
مساعدة المخرج: ليس وقته هذا الكلام... هل أحضر لك شيئاً تشربينه؟
رشـــا :كونياك... طوال دراستي لم أشرب كونياك... كنت أؤجلها لوقت أفضل... (تصرخ) أبعدي الضوء عن وجهي!!
مساعدة المخرج: آسفة... لحظة وأعود لك...
(تضع مساعدة المخرج أحد المصباحين على الطاولة بشكل عامودي وبحيث ينتشر ضوء المصباح إلى الأعلى، في هذه الأثناء تجلس رشا على الكنبة وتظهر ساقها من شق طولاني في فستانها... تندفع مساعدة المخرج والذهول باد على وجهها وهي تلقي نظرات سريعة على رشا وهي تضيء لنفسها بالمصباح اليدوي الثاني... تتمتم رشا بأغنية شائعة هادئة اللحن... فجأة يصدح صوت المخرج).
ص. المخرج: عظيم... سنضيف هذا المشهد... لكن عليك أن تغني أغنية أخرى.
رشـــا : (تصرخ) دعني... لا تسمعني صوتك الآن!! أتفهم... سأرتكب جريمة... لا أريد سماعك... ولا رؤيتك ولا حتى التفكير بك... أتفهم أم تريدني أن أرتكب ما لا...
(تصمت وتصغي وحين تتأكد أن المخرج لم يعد يتكلم تهدأ... تدخل مساعدة المخرج، إنها تضع المصباح على صينية وضعت عليها ركوة قهوة وفنجانان وشمعة

ثبتت على كأس وزجاجة كونياك وقدحان، تضع كل هذا على الطاولة، رشا تحدق في نقطة واحدة وابتسامة ساخرة جامدة مرتسمة على وجهها، يبدو الارتباك على مساعدة المخرج وهي تحاول وضع الأواني والأشياء على الطاولة، تسقط المصباح، تشعل الشمعة، تصب القهوة، تمد رشا يدها لتأخذ زجاجة الكونياك، تسارع مساعدة المخرج بتقديم أحد الأقداح لرشا ولكن الأخيرة تفتح الزجاجة وتقربها من فمها، تشرب جرعة، يرتسم تعبير انزعاج على وجهها، تضع الزجاجة على فمها مجدداً وتتجرع جرعة، كبيرة، المساعدة المندهشة تسكب القهوة في الفنجان الذي يطفح بالقهوة وينسكب من حافة الفنجان).

مساعدة المخرج: رشا؟!

رشـــا : (بصوت قاس) انتبهي.... أنت تسكبين القهوة.

مساعدة المخرج: آسفة...

رشـــا : (بسخرية) أسهل شيء الاعتذار...

مساعدة المخرج: سأبدل الفنجان...

رشـــا : ليس ضرورياً... اقعدي... هل تشربي معي كونياك؟!

مساعدة المخرج: لا أشرب...

رشـــا : أبدا؟!

مساعدة المخرج: قصدي خلال العمل لا أشرب.

رشـــا : كأنك شرطي من فيلم بوليسي أميركي.

مساعدة المخرج: لأجلك فقط ... أشرب قليلاً.

رشـــا : هذه أول مرة تقومين فيها بشيء لي... شكراً.

(تمد مساعدة المخرج يدها بالكأس الفارغة، تسكب رشا السائل البني من الزجاجة تسكب بهدوء وهي تحدق بمساعدة المخرج، ينسكب السائل فتسحب مساعدة المخرج يدها بالكأس، ترتشف منه لتنقصه، ترتشف رشا القهوة ثم جرعة من زجاجة الكونياك وتعود للغناء بهدوء، مساعدة المخرج تجلس مقابلها تبدو أكثر هدوء وإن كانت تتجنب الآن النظر إلى رشا التي تتفجر ضاحكة بشكل مفاجئ).

مساعدة المخرج: ما بك؟ ما الذي حدث رشا؟!

(رشا تتابع ضحكها وهي تتجرع الكونياك الذي ينساب على رقبتها، مساعدة المخرج تراقبها بشيء من الترقب والخوف).

رشـــا : (تصرخ) هيا... ارفعي كأسك... سنشرب نخب الحياة التي بدأت الآن ...

مساعدة المخرج: رشا.... أرجوك... كفى

رشـــا : (تتابع) سنشرب نخب فيلمكم الذي خرّب حياتي...

مساعدة المخرج: رشا...

رشـــا : أنت تعرفين لماذا وافقت على تمثيل حياتي معكم؟! تعرفين لماذا؟! أجيبيني؟!

مساعدة المخرج: (تصرخ) لا أعرف

رشـــا : لأني... أريد... أن أنفذ فيلمي... كل شيء لأنفذ فيلمي... سأموت ولن أستطيع تنفيذ فيلمي... عرفت

لماذا وافقت على هذا الذل؟ لكي أرفع رأسي بفيلم لا أنت ولا المخرجين تحلمون به.

(تمسك مساعدة المخرج بيد رشا لتمنعها من مواصلة الشرب)

مساعدة المخرج: رشا يكفي شرباً...

رشـــا : (بجدية مفاجئة) لا تتدخلي بي... على الأقل في هذه اللحظة...

مساعدة المخرج: رشا أرجوك... اعذريني...

رشـــا : بعد ماذا...

مساعدة المخرج: غداً تنسين

رشـــا : (بغضب) أنسى؟! اسكتي... لا أريد أن اسمع صوتك... ولا صوت غيرك لا أريد أن اسمع... حتى صوتي لا أريد أن اسمعه.

مساعدة المخرج: اهدأي يا حبيبتي.

(تنهض رشا وتشهر الزجاجة بحركة تهديد في وجه مساعدة المخرج التي تتراجع تحاول الإمساك بكتفيها ولكنها تتراجع).

ص. مساعدة المخرج: كما تريدين... سأتركك...

رشـــا : وخذي معك الضوء... لا أريد أن أرى... ولا أريد أن اسمع... ولا أريد أن أعيش....

(تضرب المصابيح اليدوية واحداً تلو الآخر ثم الشموع حتى تنطفئ عن آخرها ويسود الظلام والصمت...)

المشهد التاسع

(من الظلام يسمع صوت المخرج الآمر):

ص. المخرج: أين مساعدتي؟!

ص. مساعدة المخرج: هنا...

ص. المخرج: خذي هذه المجلة لبطلتنا "الحساسة".

ص. مساعدة المخرج: وهيّ بهذه الحالة؟!

ص. المخرج: المقالة عن فيلمها ستنسيها حالتها.

(ترتفع الإضاءة في زاوية الخشبة، تمسك مساعدة المخرج بالكلاكيت تحت إبطها وبيدها مجلة أجنبية، تقلبها بحثاً عن المقال داخلها).

ص. المخرج: الصفحة الثالثة والعشرون... جائزة لفيلمها.

مساعدة المخرج: جائزة لفيلمها؟

ص. المخرج: ... المهم أن نتابع العمل... أرسلوا لها المقالة...

(تخرج مساعدة المخرج من دائرة الضوء، تنخفض الإضاءة لترتفع على الفور على ديكور غرفة رشا... ها هي رشا على الكنبة وقد جمعت جسدها وأحاطت ساقيها بساعديها، الإضاءة خافتة، رشا ليست نائمة بل

ما زالت تنظر في نقطة واحدة، يسمع رنين الهاتف بإلحاح، تدير رشا رأسها بالاتجاه الآخر... يصمت صوت الهاتف وعلى الفور يسمع رنين جرس الباب، يتصاعد القرع والرنين، يسمع صوت منى صديقة رشا...)

ص. منى: رشا... أرجوك افتحي الباب... أعرف أنك في البيت.

(تمد رشا يدها إلى خلف الكنبة، تتناول الصحيفة التي كانت بيد مساعدة المخرج).

ص. منى: جلبت لك آخر مقال كتب عنك...

(تلتفت رشا بإتجاه الباب والدهشة مرتسمة على وجهها، تتمتم وهي تتفحص الصحيفة التي بيدها).

رشـــا : مقال عني؟! أيضاً؟!

ص.منى: افتحي رشا... لن أرحل حتى أراك...

(ترمي رشا بالصحيفة على الطاولة، تنهض، تترنح، تتماسك وتتوجه إلى الباب وهي ترتب شعرها).

رشـــا : قادمة لأفتح...

(يسمع صوت فتح الباب ثم صوت منى).

ص.منى: رشا... أخفتني عليك.

(تظهر الاثنتان، تستوقف منى صديقتها وتحدق بها، تحاول رشا التهرب).

منـــى : دعيني أراك؟! لم ينقصني شيء... حمام والقليل من صباغات وثياب مثيرة وتعودين للقتال.

رشـــا : أين ابنك؟!

منـــى : مع أبيه... أوف.. أنت تدخنين كثيراً.

رشـــا : أين المقال؟!

منـــى : فيما بعد... يجب أن تغيري هواء الغرفة... اذهبي وخذي دوشاً وأنا سأرتب كل شيء.

رشـــا : أعطيني المقال...

منـــى : رشا... أنا آسفة...

رشـــا : أعطيني...

منـــى : حسناً دعينا نشرب القهوة أولاً...

رشـــا : أريد أن أقرأ ماذا كتبوا عني أولاً...

منـــى : رشا... هل ما زلت تحبينني؟!

رشـــا : أحبك.

منـــى : ومستعدة لأن تضحي لأجلي؟!

رشـــا : بحالتي هذه لا أستطيع فعل شي (تصرخ فجأة) أين المقال! أعطيني إياه فوراً...

(تصاب منى بالذعر، تخرج الصحيفة من حقيبتها وتقدمها لرشا بتردد)

منـــى : واضح أن الذي كتب المقال حاقد عليك..

رشـــا : علي أنا؟ (تبحث في الصحيفة فتجد المقال) لكني لا أعرف صحافياً بهكذا اسم.

ص.منى: هل تشربين قهوة أم نسكافية؟!

رشــا : لا فرق...

(تمضي منى، رشا تقرأ ويدها ترتجف، تبقي بصرها للحظات وهي مندهشة ثم تتابع القراءة، يسمع صوت منى مع ضجيج أواني المطبخ).

ص.منى: ألم أقل لك؟... اتفقنا على الطلاق.

رشــا : (تقرأ) ورغم الجائزة البرونزية المزعومة... فقد أثبتت أفلامها القليلة أنها عديمة الموهبة.

ص.منى: تصوري... كنا نتشاجر ومن قلب الدنيا قلت له: طلقني...

رشــا : (تقرأ) ولا نعلم دوافع المهرجان لإعطائها جائزة ولكن لا بد أن وراء الأكمة ما وراءها.

(تظهر منى، إنها تحمل صينية عليها معدات قهوة وشاي).

منــى : تصوري يا رشا.. ما أن قلت له: طلقني... حتى قال لي: اليوم قبل غداً.

رشــا : (تقرأ بغضب) وهذا يثبت إن مخرجاً نفذ لها الفيلم... عشيقاً لها... مخرجاً شهيراً في أوروبا... وقد يكون أستاذها... إذ يقال إن علاقاتها الشخصية كانت...

منــى : جمدت بمكاني... ارتبط لساني.

(تبدأ منى بسكب الشاي والقهوة)

رشــا : (تقرأ بغضب أكبر)... فضح أمثالها من أدعياء الفن والثقافة.

منـــى : صرخت بوجهه...رميته بما كان في يدي بوجهه... بكيت.
رشـــا : معقول؟ لهذا الحد؟!
منـــى : بكيت وصراخي ملأ البيت.
رشـــا : من أين كل هذا الحقد والكراهية؟!
منـــى :... بدا لي أن لا حدود لحقده... لكراهيته
رشـــا : وهذا الكذب... التلفيق... أنا وأستاذي؟!
منـــى : كنت أغفر له الكذب لكن الخيانة؟!
رشـــا : كيف يتحدث عن فيلم لم يره، وشخص لا يعرفه.
منـــى : يعرفها... وضبطتهما مع بعض.

(تقدم منى فنجان القهوة لرشا التي ما زالت واقفة وقد أنزلت الصحيفة من يدها، تمد يدها لأخذ الفنجان، لأنها لا تنظر بإتجاه منى والأخيرة لا تنظر إليها، يسقط الفنجان بينهما، رشا تسقط الصحيفة وتندفع الاثنتان لعناق قوي وتقولان معاً):

منى ورشا: كم أنا تعيسة...

(تنخفض الإضاءة بشكل مفاجئ ويسود الظلام...)

(يسمع صوت المخرج يقول بتكاسل بل ويتثاءب خلال كلامه):

ص. المخرج: مساعدتي العزيزة!!

(ترتفع الإضاءة على المساعدة في زاوية الخشبة، إنها تجلس على صندوق كاميرا وبين يديها كمية كبيرة من أوراق السيناريو).

مساعدة المخرج: نعم... أمر

ص. المخرج: ما بك... لماذا تكلميني هكذا.

مساعدة المخرج: آسفة... لا شي... منزعجة قليلاً.

(تحاول مساعدة المخرج التظاهر بالانشغال بأوراق السيناريو والعصبية تبدو عليها)

ص. المخرج: وما هي الأسباب إذا لم يكن سراً؟!

مساعدة المخرج: هذا السيناريو الـــ...

ص. المخرج: لا... واضح أنكم تتمادون كثيراً.

مساعدة المخرج: آسفة... ما كان قصدي.

ص. المخرج: لن أحاسبك الآن... لأني مشغول... تصورين المشهد وتمثلين فيه.

مساعدة المخرج: أنا؟!

ص. المخرج: لم لا ؟! أنا مشغول بإعلان عن صابون "النظافة".

مساعدة المخرج: لكن أنا لا أمثل.

ص. المخرج: رشا ليست أفضل منك... وأيضاً أنت أصبحت جزءاً من عمرها.

مساعدة المخرج: (تتمتم) وأنت تفكر... تريد أن تقصف عمري أيضاً...

ص. المخرج: هيا... لا تضيعي الوقت... استعداد... وأنا ذاهب

مساعدة المخرج: أين الكلاكيت؟!

(تندفع لتبحث عن الكلاكيت وهي تجر صندوق الكاميرا والأوراق تتساقط من يديها فتجمعها، تخرج

الصندوق والأوراق وتعود على الفور وبيدها الكلاكيت).

مساعدة المخرج: (تصرخ) استعداد... كاميرا... الإعادة الثالثة للعمر... المشهد... المائة وواحد وتسعون... الإعادة الأولى... تصوير...

(تصفق عارضة الكلاكيت، تختفي الإضاءة عن زاوية الخشبة حيث كانت، ترتفع الإضاءة في غرفة رشا حيث تجلس للتو مساعدة المخرج ومقابلها رشا المتوترة).

مساعدة المخرج: ومع ذلك... يجب أن تفكري بأنه لم يحدث شي.

رشـــا : حدث...

مساعدة المخرج: قولي لنفسك... كان تمثيلاً... كذباً بريئاً.

رشـــا : لا، بريء جداً.

مساعدة المخرج: رشا... يجب أن أصارحك... أنا كامرأة... نحن يومياً نغتصب، كل دقيقة.. إن لم يغتصبوا جسدنا... يغتصبون روحنا... حتى أجورنا يغتصبونها.

رشـــا : أستغرب إنك أنت تقولين هذا الكلام.

مساعدة المخرج: لا تستغربي... أنا أيضاً إنسان... كما أنت...

رشـــا : أنت مختلفة عني...

مساعدة المخرج: طبعاً مختلفة... لأني أداة... يجوز أنت تتجاوزين المحنة... الامتحان وتصبحين مخرجة... أنا سأبقى مساعدة... يعني أداة...

رشــــا : أنت شاهد على الشر... وساكتة عنه.

مساعدة المخرج: تعرفي أن المخرج هو كل شي.

رشــــا : وأنت تساعدينه على فعل الشر.

مساعدة المخرج: ليس بيدي أن أفعل شيئاً... حدودي أعرفها...

رشــــا : ما اسمك؟

مساعدة المخرج: مساعدة المخــ... (تستدرك) قصدي عصام.

رشــــا : إنه اسم رجل.

مساعدة المخرج: اسم للرجال وللنساء... لا فرق.

رشــــا : ألا تريدين أن تصبحي مخرجة؟!

مساعدة المخرج: وهل أنا مجنونة؟!

رشــــا : يعني برأيك أنا المجنونة.

مساعدة المخرج: وتدفعين ثمن جنونك.

(يسمع رنين الجرس، تنتفض مساعدة المخرج وتعدل ملابسها وشعرها).

مساعدة المخرج: جاء... هذه طريقته برن الجرس...

رشــــا : سأفتح الباب.

(تنهض رشا وتتوجه إلى الباب، يسمع صوت المنتج ويظهر على الفور، إنه يحمل أصيصاً فيه نبات من البلاستيك وقد زين بشريط لامع وفيه وردة حمراء حية).

ص.المنتج: أعتذر عن التأخير... أصبحت مدينتنا مكتظة بالسيارات كما نيويورك... هذه لك...

(يقدم المنتج الأصيص لرشا التي تدهش وتتلمس الأوراق البلاستيكية الخضراء).

رشـــا : نبات بلاستيكي؟!

المنتج : يبقى أخضراً.

رشـــا : لكن لا حياة في البلاستيك؟!

المنتج : وما الفائدة من وردة حمراء تذبل بعد يومين؟ (لمساعدة المخرج) كيف الحال؟

مساعدة المخرج: عظيم... (تنهض) سأترككم حتى تتفقا.

رشـــا : ذاهبة؟!

مساعدة المخرج: تعرفين أن كل العمل علي.

رشـــا : وكيف ابقي وحدي معه؟!

المنتج : خائفة مني؟!

مساعدة المخرج: معها حق أن تخاف منك... عن أذنك...

(تقول وتلوح بيدها وتمضي خارجة، يجلس المنتج وتحار رشا ماذا تفعل بأصيص النبات، تضعه على الطاولة وتجلس).

المنتج : لم ترجعي لعندي فقررت أن آتي أنا لعندك... أريد أن اعتذر لك عن الذي حدث المرة الماضية... كنت اختبرك.

رشـــا : تختبرني؟! أخلاقياً؟!

المنتج : ليس قصدي... كنت اختبر جديتك و..

رشـــا : (مقاطعة) ولا يوجد طريقة للاختبار غير الدعوة لممارسة الجنس؟!

المنتج : لو قبلت لما كنت كلفتك بالعمل الذي قدمت بشأنه...

رشـــا : وما هو هذا الشغل الذي يحتاج إلى هكذا اختبار؟!

المنتج : أريدك أن تكتبي لي سيناريو تلفزيوني... ملحمة... مثل تاريخ البشرية.

رشـــا : تاريخ البشرية كله... بنص تلفزيوني واحد؟!

المنتج : ولمَ لا... أنت درست بأوروبا وسهل عليك كتابة هكذا سيناريو.

(يرن جرس الباب، تنظر رشا باتجاه الباب ثم تنهض)

المنتج : هل تنتظرين أحد؟!

رشـــا : لا... سأرى من.

(تمضي وتفتح الباب، تسمع صوت قبلات وكلمات ترحيب وتدخل رشا مع امرأة هي أم يوسف يتضح أنها مالكة الشقة التي تسكنها رشا).

ص. أم يوسف: رشا؟ لا أصدق عيوني... الله يرحم والدك الأصيل.

(تدخل أم يوسف وهي امرأة بملابس متواضعة، تصمت حين ترى المنتج وينقلب تعبيرها البشوش ليصبح أكثر صرامة ينهض المنتج ويمد يده ولكنها تتجاهلها).

أم يوسف: كان يدفع أجرة البيت قبل موعدها بيومين.

(تدخل رشا، تجلس أم يوسف دون استرخاء).

رشـــا : أعرفك على السيد... المنتج.

أم يوسف: (تتمتم) ولا تعرفين اسمه أيضاً.

رشـــا : وأظن أني لم أقصر بدفع الأجرة خالة أم يوسف.

أم يوسف: أجرة؟! الآن الذي تدفعيه اسمه أجرة؟! يا حسرة، ذهبت بركة النقود ولم يعد لها قيمة.

(ينظر المنتج حوله وقد رأى أن الوضع بدأ يتوتر، ينهض ويهم بالتوجه إلى الباب).

المنتج : واضح أنه حديث خاص... سأستأذن.

رشـــا : لا لا يا أستاذ... بإمكانك الجلوس.

أم يوسف: لا حديث ولا بطيخ... كلمتين لا غيرهما أريد الشقة أو ثمن حصتي فيها.

رشـــا : نعم؟!

أم يوسف: مثلما سمعتي... إما إن تخلي وتأخذي نقوداً، أو تبقين وتدفعين لي.

رشـــا : لكن أنا... لا أملك نقوداً... ولا يوجد مكان أذهب إليه.

أم يوسف: لهذا جئت... خذي ما يقسمه لك الله وبالتيسير.

رشـــا : وكم؟!

أم يوسف: تلاتمية ألف...

رشـــا : لكن قالوا لي إن سعر البيت يقارب مليونين ونصف.

أم يوسف: ادفعي لي مليون ونصف وأنا أتركه لك .

رشـــا : ومن أين لي... أم يوسف ما تقوليه لا عدل فيه.

أم يوسف: وما تفعلينه لا عدل فيه... تدفعين قروشاً وتنعمين بملك غيرك؟ بلا ضمير..

رشـــا : أم يوسف...

المنتج : أظن أنك بالغت يا سيدة.

أم يوسف: أنت أسكت أفضل من أن أحضر شرطة الأخلاقية أنت وهي.

رشا والمنتج: ماذا؟!

(تنهض أم يوسف وتقترب من أصيص النبات البلاستيكي وهي في طريقها للخروج).

أم يوسف: لا أعرف كيف هذا الزرع يبقى أخضراً عند واحدة مثلك.

المنتج : بلاستيك أم يوسف... بلاستيك.

أم يوسف: أنت لا توجه لي كلام أبداً (لرشا) وأنت معك أسبوع لتردي.

رشـــا : أم يوسف...

(تخرج أم يوسف ويسمع صوت صفق الباب، تندفع رشا وراءها ولكنها تتوقف فجأة وتطرق، يخرج المنتج عدة أوراق، يضعها أمامه على الطاولة ثم يخرج قلما في الهواء باتجاه رشا التي تلتفت إليه وكأنها لا تعي ماذا يحدث).

المنتج : أظن أنه لا خيار لك في توقيع العقد.

رشـــا : عقد؟ أي عقد!

المنتج : عقد كتابة النص... أنا متأكد أنه لا يوجد أحد سيكتب لي الذي أريده غيرك.

(تقترب رشا بخطوات آلية، تأخذ القلم دون حماس تنحني فوق الأوراق يشير المنتج إلى مكان محدد على الأوراق):

المنتج : هنا يا آنسة رشا... مبروك...

(يسود الظلام، يسمع صوت إغلاق الباب وعلى الفور ترتفع الإضاءة في حيز محدد وضعت فيه مرآة طولانية، تظهر رشا من الظلام وتتجاوز المرآة، تتراجع لتدخل حيز الضوء وتنظر إلى المرآة ثم تطرق، تنظر ثانية وتتمتم بدهشة):

رشـــا : رشا؟ أنت... رشا؟! لم أعد أعرفك... بسرعة تغيرت ... والآن ماذا ستفعلين؟!

(تقترب من المرآة أكثر وتتفحص شعرها وتبتسم بأسى)

رشـــا : لا يوجد شيب حتى الآن... والقلب شاب باكراً...

(تجلس على ركبتيها)

رشـــا : لم يعد هناك أحلام...

(تظهر منى وهي تحمل الرضيع، تدخل متسللة وكأنها كانت في الغرفة المجاورة تجلس وهي تهدهد الطفل وتدندن له بترنيمة، رشا تتابع وكأنها لا تراها).

رشـــا : الطموحات هربت... والمشاريع تبخرت... والأفلام بقيت في الخيال...لم تعد فيه زنوبيا ولا «ذهب مع الريح»... لا جوليا دومنه ولا يوسف العظمة... كلها تبخرت...

(تلتفت مجدداً إلى المرآة، تنهض تدريجياً حتى تقف)

رشـــا : اكتبي... ليل نهار اكتبي... حتى تشتري بيتاً وخبزاً... علبة ماكياج وحلياً ... اكتبي واكتبي واكذبي على الناس بأن الحياة حلوة.

منـــى : طلقني بالثلاثة.

رشـــا : لن أدرب ممثلة على أدوار الحب؟ ولن أقود مجموعة التصوير... لن اسهر الليالي على المونتاج؟!

منـــى : خسرت كل شي يا رشا... كل شي.

رشـــا : ليس كل شي... أنا ساكتب حتى أقف على قدمي... توجد بالعمر بقية.

منـــى : وثلاثة أولاد وواحد على الطريق...

رشـــا : بالعمر بقية... بالعمر بقية... بقية...

(تنخفض الإضاءة تدريجياً حتى يسود الظلام).

المشهد العاشر

(من الظلام صوت مساعدة المخرج الذي تبدل قليلاً وأصبح أكثر صرامة وحدة).

ص. مساعد المخرج: استعداد... مشاهد قصيرة... بدون توقف، ولا تلكؤ... استعداد... إضاءة...

(تضاء الخشبة، رشا تجلس مفترشة وسادة وضعت على الأرض بالقرب من الطاولة الصغيرة، على الطاولة أوراق ومجلدات وكتب، رشا منكبة تكتب وحولها بعض الأوراق المبعثرة وسلة مهملات فيها بعض الأوراق المدعوكة...)

ص. مساعد المخرج: استعداد... كلاكيت!

(يظهر العامل وهو يحمل الكلاكيت، يقف أمام رشا ويقول وهو يتثاءب):

العامل : الإعادة الثالثة للعمر... المشهد المائتان وستة... الإعادة الأولى... تصوير.

(يبتعد بعد أن يضرب عصا الكلاكيت... على الفور يرن جرس الهاتف... لا ترفع رشا رأسها بل تتابع الكتابة وترفع السماعة وهي تكتب):

رشــا : آلو... نعم أستاذ... أنا أكتب... لا أعرف... بجد أعجبك؟! شكراً لك تقصد البطل؟ وضحت بالمشروع أنه سيحب امرأة أخرى بالحلقة السادسة من السيناريو، قصدك واحدة ثالثة؟ هكذا زيادة؟! طيب... أفكر...

(تضع رشا السماعة وتنظر حولها، تأخذ رزمة من الأوراق تتصفحها وهي تفكر، فجأة يصدح صوت مساعدة المخرج):

ص. مساعدة المخرج: ستوب... الذي بعده... بسرعة... رشا بدلي شيئاً من ثيابك بسرعة، سيصل المخرج...

(خلال كلام مساعدة المخرج يدخل العامل، تنهض رشا، الاثنان يعملان في ترتيب بعض الكتب، العامل يأتي بصينية عليها الكثير من الكؤوس، يضع بعضها على الطاولة والبعض الآخر على الأرض، يخرج كيساً صغيراً من جيبه يفرغ ما فيه من أعقاب للسجائر داخل المنفضة بحيث تمتلئ، يأخذ سيجارة دخنت لمنتصفها ويشعلها، في هذه الأثناء تأتي رشا بشال وتضعه حول كتفيها، ترتدي جرابات صوفية وترفع شعرها لتضع فوقه قبعة صوفية قديمة، يأتي العامل بالكلاكيت).

ص. مساعدة المخرج: استعداد... إضاءة.

(تنخفض الإضاءة وتنحصر في بقعة حول غرفة رشا التي تجلس على الكنبة وتأخذ مجموعة من الأوراق وكأساً، يرفع العامل الكلاكيت أمام رشا).

ص. مساعدة المخرج: كاميرا... بلا كلاكيت... تصوير...

(يمضي العامل خارجاً، يرن جرس الباب بإلحاح، تنهض رشا بتثاقل):

رشـــا : ما الذي حدث؟... قادمة... لحظة

(تختفي لتفتح الباب، يسمع صوت صرير الباب ثم صوت المنتج الذي يبدو منفعلاً):

ص. المنتج: ما هذا يا آنسة رشا؟!

رشـــا : خير؟ ما الذي حدث؟!

(يدخل المنتج وبيده مظروف كبير فيه حلقات مسلسل يخرجها ويرمي بها على الطاولة)

المنتج : هذا بطل هذا... هذا خروق؟!

رشـــا : لكن أنا أرى...

المنتج : لا يهمني ما ترينه ... يهمني ما الذي سيراه الناس... أريد بطلاً.. ملحمياً عملاقاً... قوياً... لا يخطئ ولا يتردد ولا يغرق ولا يحترق...

رشـــا : اعتقدت أن قوته الداخلية.

المنتج : -مقاطعاً- الداخلية؟ وكيف ستراها المرأة وهي تحضر العشاء لزوجها؟ كيف سيكتشفها الرجل الغارق بتعبه؟ والبنت التي تحلم بفارس الأحلام؟ تريدين منهم أن يحزروا أم يبحثوا عن هذه القوة الداخلية التي تقولين عنها؟!

رشـــا : لكنه سيظهر قوياً أمام عيونهن... وسيصبح بطلاً... ملحمياً.

المنتج : بعد أن يملوا ويقبلوا على مسلسل غيره... كلمه واحدة أقولها... هذا نصك...إما تعدليه مثلما أريد أو ترجعين السلفة ويذهب كل واحد بحال سبيله.

رشـــا : يعني أنت ترفض السيناريو؟.

المنتج : أنا أرفض هذا البطل الذي كما الخرقة البالية...

رشـــا : خرقة؟!...

المنتج : وألعن من ذلك أيضاً... بخاطرك... رقم هاتفي عندك... (يمضي باتجاه الباب ويختفي، يسمع صوت صفق الباب)

رشـــا : ما قصده؟ كيف يمكن أن أصنع إنساناً كله عواطف ولحظات قوة وضعف كيف يمكن أن أجعله مثل «رامبو»؟!

(يسود الظلام ورشا واقفة وهي تضم حلقات المسلسل)

ص. رشا: لا... لا أستطيع... لن أنفذ ما طلبه... هذا بطلي... بطلي أنا...

(يصدح صوت مساعدة المخرج وعلى الفور ترتفع الإضاءة فيدخل العامل إلى حيث غرفة رشا، رشا نائمة على الكنبة، العامل يقوم بجمع بعض الأشياء وينظف المكان ويفرغ القاذورات ضمن كيس أسود).

ص. مساعدة المخرج: المشهد التالي... بلا انفعال... كل شيء يتم بهدوء... بطلتنا وكأنها اكتسبت الحكمة... هيا استعداد.. إضاءة.

(العامل يخرج الكيس، تتبدل الإضاءة لتصبح على غرفة رشا فقط، يسمع صوت راديو ومنه أغنية قديمة لزكريا أحمد، يدخل العامل وهو يحمل الكلاكيت يقف أمام رشا ويضرب بعارضتها وهو يقول بعملية هادئة):

العامل : الإعادة الثالثة للعمر... المشهد الثلاثمائة وعشرة.

ص. مساعدة المخرج: وأحد عشر.

العامل : (يكرر) وأحد عشر... الإعادة الثالثة... تصوير...

(يبتعد العامل فيرن الهاتف على الفور، تتململ رشا وتستيقظ دون تعجل... ترفع سماعة الهاتف وتقول بصوت ناعس):

رشـــا : آلو... آلو... آلو... هذا أنت؟ ... اسمع يا وليد ... ما حدث وأنا لا أريد (تصمت) أرجوك (تصمت) من قال لك؟ أعدت كتابة تسع حلقات شكراً... لم أتوقع أن يعجب واحد مثلك... المنتج كلفك بالبطولة؟! طيب... على كل حال عندي طلب منك... أرجوك لا تتصل بي... أرجوك... لا أريد أن أراك ولا أن أسمع صوتك ولا أن أعمل معك... مع السلامة.

(تضع رشا سماعة الهاتف وتزفر، يرن جرس الهاتف ثانية، تنظر وتنهض. يرن جرس الباب، تقف بين الباب والهاتف، تنقل بصرها بالاتجاهين... تبتسم وتتمطى وتقول بمرح):

رشـــا : لن أفتح... ولن أرد على الهاتف... سأقف تحت الدوش... حتى يفرجها الله...

(تنخفض الإضاءة ورشا تجمع بعض الأشياء من الغرفة، على الفور يصدح صوت مساعدة المخرج):

ص. مساعدة المخرج: دون توقف... لننتقل إلى المشهد التالي... إضاءة... كاميرا، كلاكيت.

(ترتفع الإضاءة، يجلس المنتج على الكنبة، على الطاولة التي فرغت من الكتب والمجلات يوجد نص تلفزيوني ضخم، المنتج يدخن غليونه ويبدو هادئاً... يظهر العامل وبيده الكلاكيت يقول بآلية ويصفق عارضة الكلاكيت ويمضي...)

العامل : الإعادة الثالثة للعمر... المشهد المائتان وأربعة وعشرون... الإعادة السادسة...

(يضع المنتج الغليون في فمه ويحمل النص التلفزيوني وكأنه يزنه، تدخل رشا إنها بملابس الخروج، يضع المنتج النص على الطاولة):

رشـــا : أنا آسفة... مضطرة للذهاب... عندي موعد.

المنتج : وأنا مستعجل هذا المبلغ هو الدفعة الثالثة، والرابعة بعد التصوير والمونتاج... عدّي المبلغ.

رشـــا : أنت عديته يكفي...

المنتج : عندي طلب أيضاً... أريدك أن تعدلي بعض المشاهد.

رشـــا : أيضاً تعديل؟ أظن أن غيري من كتاب السيناريو لا تطلبون منهم...

المنتج : (مقاطعاً) تعديل رقابي... طلبته بعض المحطات... مثلاً تعدد الزوجات.

رشـــا : ليس عندي تعدد زوجات بالسيناريو.

المنتج : فيه مشهد لجار خطيبة البطل... الجار متزوج اثنتين.

رشـــا : بسيطة... نجعل الثانية أخته. وماذا أيضاً...

المنتج : وفيه مشهد البطل مع بنت خالته في الغرفة لوحدهما.

رشـــا : وهذه ما بها.

المنتج : ما اجتمع رجل وامرأة إلا وكان الشيطان ثالثهما...

رشـــا : نضع معهما أخوها الصغير...

المنتج : على كل هي قائمة... كلها بسيطة ولا تأخذ عملاً كثيراً.

(تأخذ رشا الورقة منه وتنظر إليها فيرن جرس الباب، ينهض المنتج، تتوجه رشا إلى الباب وهي تقرأ في الورقة، يسمع صرير الباب وصوت الشرطي):

ص. الشرطي: هذه ثالث مرة آتي... كنا سنكسر الباب.

ص. رشا: تكسروا الباب؟ لماذا خيراً؟... ما الذي حدث؟!

(يدخل الشرطي ووراءه رشا، يخرج الشرطي ورقة ويقدمها لرشا ثم يفتح دفتره ويقدم لها قلماً).

الشرطي:وقعي لي على التبليغ!

رشـــا : تبليغ؟ ماذا؟ اشرح لي الأمر؟!

الشرطي:صاحبة البيت كسبت دعوى بالإخلاء... التنفيذ خلال أسبوع من التبليغ...

رشـا : إخلاء؟ كيف يعني... هكذا أخرج من البيت الذي ولدت فيه... من البيت الذي مات فيه أبي.

الشرطي: يا آنسة... المرأة كسبت حكم... وأنصحك بتنفيذه دون مشاكل... بعد أسبوع نعود... السلام عليكم.

(يخرج الشرطي... يقترب المنتج منها ويضع يديه على كتفيها ويجذبها)

رشـا : اعتقدت أني أرضيتها.

المنتج : طولي بالك يا رشا... كل مشكلة لها حل.

(تنتبه رشا إلى أنه يحاول ضمها، تدفعه بقسوة وتصرخ)

رشـا : الآن وقتك يا نذل...

المنتج : لا تكبري الكلام... أنا قصدي أن أساعدك.

رشـا : واضح...

(يتوجه المنتج إلى الباب وقبل أن يخرج يقول لها بود):

المنتج : اتصلي... قد نجد لك بيت تستأجرينه...

(يسود الظلام ويدا رشا ترتجف وهي تمسك برزمة النقود التي أعطاها إياها المنتج وورقة التبليغ بالإخلاء ... من الظلام يسمع صوت تحطم زجاج ترتفع إضاءة خافته، تقف رشا وهي تضم حقيبة السفر وقد خرجت

منها أجزاء من الملابس وأوراق وتبدو مشعثة الشعر جامدة النظرات، تتمتم ويرتفع صوتهامع نهاية المقطع الشعري):

رشـــا : «نسافر كالناس، لكننا لا نعود إلى أي شيء... كأن السفر طريق الغيوم.

دفنّا أحبتنا في ظلام الغيوم وبين جذوع الشجر»

(تسقط رشا الحقيبة فيتبعثر ما بها وتنفتح):

رشـــا : «لنا بلد من كلام. تكلم تكلم لأسند دربي على حجر من حجر لنا بلد من كلام. تكلم تكلم لنعرف حدا لهذا السفر!»

(تنظر رشا حولها، تبدأ بجمع الأشياء وحشرها داخل الحقيبة، تنخفض الإضاءة تدريجياً، يسود الظلام)

المشهد الحادي عشر

(يصدح صوت المخرج في الظلام).

ص. المخرج: أين مساعدتي؟ أين هي؟!

ص. مساعدة المخرج: أنا هنا...

ص. المخرج: أريد أن أشكرك...

ص. مساعدة المخرج: لا شكر على واجب يا سيدي...

ص. المخرج: سنبدل النهاية.

ص. مساعدة المخرج: أيضاً؟ نريد أن نتدخل بمصيرها؟!

ص. المخرج: ماذا نفعل إذا كان مصيرها مأساوي وحزين؟ الجمهور بحاجة لشيء مفرح... هيا... اذهبي وأعطيها المشهد الأخير.

(ترتفع الإضاءة، اختفى الأثاث وأصبحت الخشبة فارغة إلا من بعض الأسلاك الكهربائية ورؤوس الإضاءة وأعمدتها... في منتصف الخشبة جلست رشا على إحدى حقيبتين، كما في المشهد الأول، إنها ترتجف، يظهر المنتج، يبدو رقيقاً إنه يحمل صحيفة، يقف إلى جانب رشا):

المنتج : مقال ثاني... يتهمونك هذه المرة بسرقة الأفكار والسيناريوهات.
رشـــا : ما الذي يبقى لعديم الموهبة غير أن يسرق الأفكار الموهوبة...
المنتج : المسلسل بيع لسبع محطات... ثلاثة منهن فضائيات...
رشـــا : لأن المخرج قام بما يريدون...
المنتج : جدّ؟! هل نستطيع أن نعارضهم أو نقول غير ما يريدون هم؟!
المنتج : الكلام معك أصبح صعباً... بخاطرك...
رشـــا : مع السلامة... وشكراً.
المنتج : على ماذا؟!
رشـــا : أعطيتني كل أجري... ولم تصدق كلام الصحف إني أسرق أفكار.
المنتج : أين ستذهبين الآن؟!
رشـــا : إلى حيث يريد هو (تشير بيدها إلى أعلى).
المنتج : فهمت... كانت فرصة طيبة أني تعاملت معك... يجب أن أعتذر منك.
رشـــا : لا داعي... مع السلامة...
(يخرج المنتج مسرعاً، تنهض رشا وتهم بحمل الحقائب، تندفع مساعدة المخرج باتجاهها، إنها تحمل عدة أوراق والكلاكيت...)
مساعدة المخرج: إلى أين ذاهبة؟!

رشـــا : لا أعرف...

مساعدة المخرج: لكن سنصور المشهد الأخير...

رشـــا : الذي صورتموه الآن أليس الأخير؟

مساعدة المخرج: لا طبعاً... يوجد مشهد... جميل جداً؟!

رشـــا : لم أعد أرغب...

مساعدة المخرج: ما هذا الكلام؟ لماذا لا تريدين؟!

رشـــا : لأني اكتفيت... لم أعد أريد فيلماً عن حياتي... ولا أريد لهذه الحياة أن تعرض على الشاشة... أريد أن أعيش الحياة.. لا أريد أن أكون العيش...

مساعدة المخرج: رشا... لا يجوز هذا الشيء... لا قانونياً ولا أخلاقياً ولا حتى مهنياً.

رشـــا : ألم أقل لك... إنك شاهد على الشر... والآن ستصبحين الشر بعينه.

مساعدة المخرج: لكن قررنا أن نضيف مشهد حب سعيد ينتهي فيه فيلمك.

رشـــا : حب؟! بوضعي هذا؟. ومن سأحب... الذي اغتصبني أم الذي عصر دماغي وأفرغ مخيلتي؟! أم تريديني شهيدة حب غير مرئي؟! مخرجك مثلاً...

مساعدة المخرج: رشا... لا تبالغي... أنت شابة... والحياة أمامك...

رشـــا : بعد أن تلطخت وانكسرت والروح ماتت؟!

مساعدة المخرج: رشا... أرجوك اهدأي... أصلاً أنا مضطرة أن أجبرك على تنفيذ الفيلم.

رشـــا : سأنفذ الفيلم الذي في مخيلتي...

مساعدة المخرج: وهل وجدت ممولاً؟

(أثناء كلام مساعدة المخرج، تجلس رشا القرفصاء، تخرج من الحقيبة آلة تصوير فيديو منزلي، تمسح عنها الغبار وتقف مقابل مساعدة المخرج).

رشـــا : سأكون أنا الممول والمؤلف والمخرج... لكن هذه المرة ستكونون أنتم الممثلين.

(تخفي مساعدة المخرج وجهها وتبتعد متراجعة).

مساعدة المخرج: أرجوك.... لا تصوري... لا أريد أن أكون بطلة... لا أريد أن أعاني ما عانيته... رشا...أرجوك أنا سأذهب.

ص. المخرج: ابق مكانك... أحضروا البطل... بسرعة... إضاءة... كلاكيت... صمت ولا همسة... كاميرا...

(يندفع وليد إلى إلى الخشبة، إنه يحمل الكلاكيت وباقة زهور، رشا ومساعدة المخرج تقفان والدهشة مرتسمة على وجهيهما، الكاميرا ما زالت بيد رشا يضع وليد الكلاكيت أمام وجه رشا ويصفق عارضتها وهو يتمتم بصوت حاد منفعل):

وليـــد : الإعادة الثالثة للعمر... المشهد الثمانمائة وتسع وتسعون... الإعادة العاشرة... تصوير!!

(يرمي وليد بالكلاكيت لمساعدة المخرج التي تتلقفها وتنظر إلى رشا نظرات حائرة، رشا ترفع آلة التصوير باتجاهها، تتراجع مساعدة المخرج فتمضي رشا قدماً ملاحقة إياها).

مساعدة المخرج: (تتمتم لرشا) أريدك أن تعذريني... لم أقصد إيذاءك... الحياة صعبة وعملنا قاس... أنا ... كنت... حاولت... لم أقدر...

رشـــا : هيا... تكلمي... ألم تحفظي دورك... هذه فرصتك الأخيرة...سيطردونك اعتذري...اشكريني...امتدحيني... لماذا أنت ساكتة.

مساعدة المخرج:لا أريد... أنا... لا أريد... لا أقدر... لا أريد.

(تقول مساعدة المخرج وتهرول خارجة ورشا تلاحقها... ما أن تخرج حتى تتوقف رشا وتعود وتبتسم، تنظر إلى وليد الذي يعدل من ثيابه ويرفع باقة الزهور تتوجه رشا إليه، ترفع الكاميرا):

(يصدح صوت المخرج)

ص. المخرج: برافو... أكملي رشا... لا تتوقفي... لا توقفوا الكاميرا... دعي كل شي طبيعي.

رشـــا : هيا... تكلم... تحبني؟... هذه فرصة عمرك لتمثل صح ولو مرة... قل..

وليـــد : رشا... أنا طبعاً أحبك...

رشـــا : في الفيلم... وفي الحياة... تحبني؟!

وليـــد : أنا... لا... لا يجوز ذلك... بالفن لا يجوز الخلط..
رشـــا : لماذا؟... كنت تثرثر عن الفن الصادق ... والصدق بالفن... هيا... أرنا صدقك ليس لفيلمه (تشير إلى أعلى) لفيلمي أنا... هذا هو الفيلم الذي سيدخلك التاريخ.
وليـــد : لكن أنا لم أقبل أن أمثل بفيلمك...
رشـــا : قل: لم تقبض على التمثيل بفيلم... لا تنسى أنك اغتصبتني.. أي أخذت أجرك سلفاً.
(وليد ينظر حوله وإلى أعلى وهو يرى أن رشا تلاحقه بكاميرتها)
وليـــد : أنا أعترض... هذا الكلام ليس مكتوباً بحوار المشهد... والتصوير هذا غيرموجود.
(يصدح صوت المخرج دون انفعال خاص وبهدوء مشوب بالحكمة)
ص. المخرج: أكمل وليد... فيلمها ليس له قيمة... وإذا أساء لنا... نمنعه... نتلفه المهم نكمل، سجل هذه اللحظة التي لا تنسى.
(في هذه الأثناء يقترب وليد من رشا يقدم لها الزهور فترميها، يزيح الكاميرا التي بيدها ويحاول ضمها، تحاول المقاومة، يسمع صوت المخرج):
ص. المخرج: تابع يا وليد... النهاية... يجب أن تكون سعيدة...
رشـــا : ابتعد عني... ارفع يديك الوسختين عني...
ص. المخرج: (بانفعال) لا ترد عليها... صوروا... لا تتوقفوا...

ص. مساعدة المخرج: والكلاكيت؟!
ص. المخرج: لا ضرورة للكلاكيت... سيكون مشهداً مدهشاً.
(في هذه الأثناء يجري ما يشبه الملاحقة الراقصة حيث يهاجم وليد رشا تارة فتنقض بكاميرتها باتجاهه فيتراجع وهو يحاول إخفاء وجهه)
رشـــا : لا تستر وجهك... دع الجميع يراه.
(يحاول وليد مهاجمة رشا وضمها إلى صدره ولكنها تدفعه بقسوة فيتعثر بالحقائب ويسقط،رشا تضحك بفرح وتتابع تصويره، ينهض ويلتقط الزهور)
وليــد : كفى... لم أعد أريد أن أشارك بهذه المسخرة... خذي الورود...
(يرمي بالورد باتجاهها ويندفع خارجاً، تلاحقه رشا قليلاً ثم تتوقف وتوجه الكاميرا إلى باقة الزهور)
ص. المخرج: خذي الباقة... ارفعيها عن الأرض.
(تنتفض رشا وتبعد الكاميرا عن عينيها، تنظر حولها ثم إلى أعلى)
رشـــا : ما زلت هنا؟ أخيراً بقينا لوحدنا؟ أنا وأنت... بإمكانك أن تظهر... وتريني وجهك.
ص. المخرج: يكفي تخريف... ليس عندنا وقت... يجب أن ننهي الفيلم.
رشـــا : لم تعد تفيدك مساعدتك.. هربت... آلة التصوير بيدي... أنا التي ستلاحقك الآن.. أنا التي ستفسد حياتك.

ص. المخرج: أسكتوا هذه المجنونة...أحضروا ممثلة بديلة لها.

رشـــا : بهذه أخطأت... لا يوجد بديلة لي... لا يوجد بدلاء لأحد...

(في هذه الأثناء تظهر بعض شخصيات المسرحية ولكن تبقى في الظلام حول مكان بقعة الضوء حيث رشا وحقيبتها)

رشـــا : لا يوجد أحد يشبه أحداً... ولا مصير أحد يشبه أحداً... هذا الشيء موجود فقط في خيالك المريض...

ص. المخرج: سأمضي...غداً عطلة... للجميع...

(تسمع أصوات صاخبة، إقفال أبواب، إغلاق خزائن، صرير أسلاك معدنية تختلط الأصوات بلغط مجموعة كبيرة من الناس، اللغط غير مفهوم رغم أنه هادئ...)

رشـــا : ما الذي حدث؟ أريني الخيبة عليك... خائف؟... أين ذهبت؟ اظهر إن كنت رجلاً... دعني أرى قوتك وسلطتك... أرني.

(يسود الصمت فجأة ويسود الظلام إلا في البقعة حيث رشا... تمسح رشا وجهها وعنقها بمنديل، تجلس على الحقيبة وهي تتمتم بعد لحظة صمت):

رشـــا : وهكذا... ذهبت الفرصة... الفرصة الأخيرة... الأخيرة...

(يرن جرس الهاتف، يرن جرس الباب، يسمع قرع على الباب، تتصاعد أصوات الشارع، باعة جوالون،

سيارات، صوت آذان وصوت أجراس كنيسة وأصوات هتافات بعيدة، أصوات أطفال يغنون ورجال يتشاجرون...

تتداخل الأصوات وترتفع بصخب... ترفع رشا رأسها وتنظر حولها... تمسك بآلة التصوير وتوجه العدسة إلى وجهها، ما أن تبدأ الكلام حتى تنخفض الأصوات تدريجياً وسرعان ما تختفي...

رشـــا : لم يبق سواي... أنا رشا... مشروع فاشل لمخرج... مشروع فاشل لامرأة... مشروع فاشل لمثقف... مشروع فاشل... (تصمت) مشروع فاشل لإنسان؟... لا... لن... لا... لا...

(يسود الظلام)

- نهاية المسرحية -

الفهرس

الصفحة

الصفحة

الصفحة

الإعادة الثالثة للعمر



الطبعة الأولى / ٢٠١٠

عدد الطبع ١٠٠٠نسخة

د. محمد قارصلي...

مواليد دمشق ١٩٥٠.

- ماجستير في الإخراج السينمائي والتلفزيوني من أكاديمية السينما في موسكو ١٩٧٠ - ١٩٨٠.
- دكتوراه في الإخراج - إعداد الممثل - ١٩٨٠ - ١٩٨٥.
- عضو نقابة الفنانين.
- عضو هيئة تحرير مجلة الحياة المسرحية.
- أكثر من مائة فيلم سينمائي قصير ومتوسط وفيلم طويل ومسلسلات تلفزيونية وثائقية وروائية.
- أكثر من عشرة عروض مسرحية.
- أكثر من خمسة وأربعين نص درامي (مسرحي - سينمائي - تلفزيوني).
- محاضر في العديد من المعاهد المسرحية والسينمائية والإعلام في العديد من الدول العربية والدولية.
- حائز على اثنان وعشرون جائزة لأعماله السينمائية وعروضه المسرحية.
- حائز على ستة جوائز في مجال التأليف الدرامي (سينما - تلفزيون).
- نشر العديد من الأبحاث في مختلف الدوريات المتخصصة وكتيبات سينمائية ومقالات وأبحاث.
- عضو لجان تحكيم وتقييم في مهرجانات مسرحية وسينمائية وفي مسابقات للإبداع الدرامي.
- رئيس قسم الدراسات المسرحية في المعهد العالي للفنون المسرحية (٢٠٠٣ - ٢٠٠٥).



مطابع الهيئة العامة السورية للكتاب - ٢٠١٠

سعر النسخة ١٠٠ ل.س أو ما يعادلها